
بلاد تشيل
وبلاد تحط
محمود السعدنى
روز اليوسف

إهـــــــداء٢٠٠٧

الأستاذ الدكتور / قدري محمود حفني

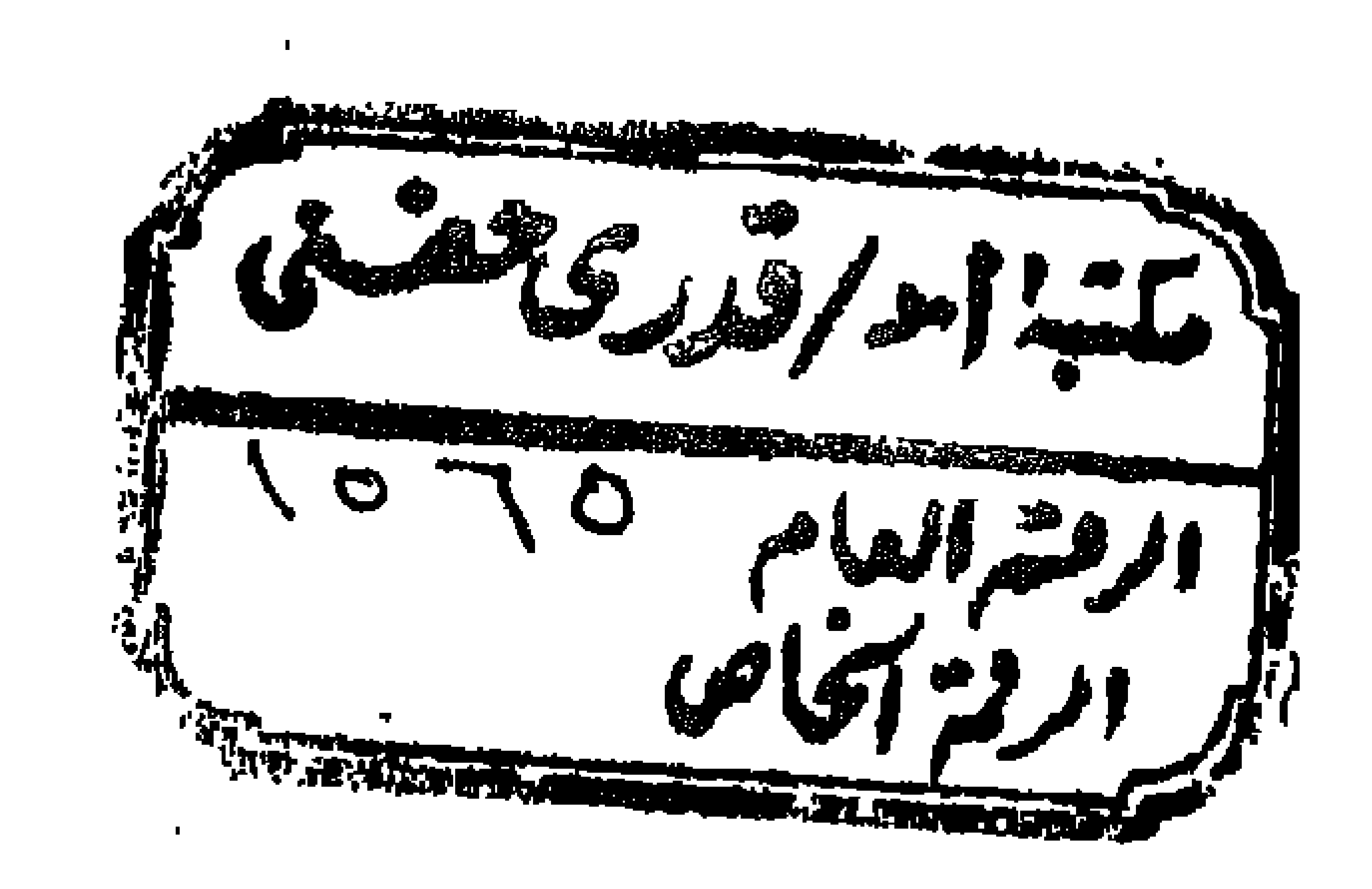
جمهورية مصر العربية

روزاليوسف تقـدم

بلاد تشيل وبلاد تحط

محمود السعدنى

يناير ١٩٧٠



الغلاف بريشة :

حسـن فؤاد

الرسوم الداخلية :

ايهاب
ناجي
محفوظ
شريف
حسن

◆ يافقراء العالم اتحدوا . اتحدوا
ليشرب الأخ الزعيم اياه بيرة ميونيخ
ويدخن سجاير كرافن ويأكل فراخا
فى حجم الكلاب ! ◆

الله على الواد الأسمى



شركة الخطوط الجوية العربية مضـــيافة وكريمة • ولانها مضـــيافة ولانها كريمة فقد دعت أخاكم المفلس العام على وزن المدير العام والمراقب العـــام الى رحلة فى أوروبا • وأنا غاوى أوروبا لانني غاوى نكد • فما ذهبت مرة الى أوروبا الا وتنكدت نكدا عظيما • فالصورة التى نقلها أسلافنا عن أوروبا مشوهة للغاية • صورة مزيفة مهزوزة ، صورة تجعل القارىء يحس بعقدة النقص • فهو وســـخ وأوروبا نظيفة • وهـــو جبان وأوروبا شـــجاعة • وهو جاهـل وأوروبا عالمة • وهو نائم وحالم وأوروبا متيقظة ونشيطة !

صورة أيها الاخوان وأيها الخلان كذب فى كذب •• دلالتها الوحيـــدة أن الذين نقلوها يعرفون أوروبا جيـــدا ولكنهم لا يعرفون مصر !

هكذا صور أوروبا لنا أخونا الكبير أحمد الصاوى محمد ، وأخونا الاكبر محمد التابعى ، وأخونا بس المرحوم فرج جبران ، ووقـــع فى نفس الغلطة فنان مصر العظيم أبونا وعمنا وتاج رأسنا بيرم التونسى • وقع فى نفس الغلطة لا أدرى كيف ؟

وبيرم التونسى أيها الناس فنان عظيم ولاكل الفنانين • بيرم التونسى يستحق تمثالا فى كل ميدان •• ولوحة تذكارية فى كل شارع ، ونصبا تذكاريا فى كل حارة وفى كل زقاق ! ومع ذلك طب بيرم التونسى فى نفس الغلطة وكتب قصديته المشهورة « هاتجن ياريت ياخوانا مارحتش لندن والا باريز » !

أوروبا نظيفة أى نعم ولكن لان جبالهـــا ليســت كالمقطم وسماءها ليست صلعاء كسمائنا • السماء هناك ترخ على الدوام

ماء في بعض الاحيان ، وثلجا في أغلب الاحيان ! والالماني مثلا نشيط أى نعم لان عنـــده عملا • امكانيات بلاده تتيح له أن يعمل وينتج ، ولو كان لدينا نصف امكانيات الشعب الالمانى لصنعنا معجزة • لو عندنا ربع الجمال الطبيعي الالهى الذى فى سويسرا لأصبحنا ألطف من أهل ســـويسرا وأرق من أهل سويسرا ولو وفد على بلادنا خمس عدد السياح الذين يذهبون الى سويسرا لاصبحنا أنظج وأعيق وأعجب شعب فى العالم !.
ولكن هـــذا هو البير وهـــذا غطاه كما تقول أمى • ورغم فقر الامكانيات ووفرة العدد فشعبنا أذكى شعوب الارض ، شعبنا أطيب شـــعوب الارض ، شعبنا مزاجاتى وفنان ، حتى بائع الجميز والعجور والفجل الذى هو من الجزاير ياورور يغنى على بضاعته وكأنه يبيع الاناناس •

ومستوى الذكاء فى أوروبا منحط • حتى الصعيدى الغلبان التعبان الذى يعيش فى القـاهرة مذعورا ساحبا هراديبه خلف ظهره أذكى ألف مرة من ألمانى مثقف ، وأذكى مليون مرة من سويسرى متخرج فى جامعة ، وأذكى بليون مرة من وزير فى بلاد البلجيك •

ولكن كيف هزمنا هـــؤلاء الناس • كيف حكمونا ، كيف أذلونا وسحقونا ؟ السبب بسيط • كان مع هؤلاء الناس مدفع ولم يكن معنا شيء • عصور النوم التى مرت علينا جعلتنـــا نتواكل ونستسلم فلما جاء هؤلاء الشقر من وراء البحار كان معهم مدافع وكان معنا صـلاة الزين فغلبونا وهزمونا ، ليس لانهم أذكى منا ولكن لانهم أقوى سلاحا وأقوى بارودا وأقوى بترولا وفحما وصلبا والله على ما أقول شهيد !.

ورجل مجنون ومعتوه ومعه مطوة يستطيع هزيمة اينشتاين نفسه ، لان المطوة أقوى من عقل اينشتاين الذى أدت نظريته الى اكتشاف سر الذرة !

هكذا بالمطوة هزمتنـــا أوربا وحكمتنا ، فلما انحسر ظل أوروبا عن آســيا وأفريقيا وعادت الى حدودها لم تتنازل عن المطوة وظلت بين أصابعها • كل أوروبى الآن معه مطوة يشهرها فى وجه زميله • العلاقات الانسانية هنـــاك علاقات مطاوى • والمطاوى ليست ظاهرة فى اليد ، المطاوى مختفية داخل النفوس

داخل المشاعر • فى القلب ، فى النظرات ، فى اللمسات ، فى الهمسات كما يقول كامل الشناوى !

تصوروا أيها الناس • العريس يعزم خطيبته على العشاء ويدفع حسابه وتدفع حسابها • رب العائلة يدعو عائلته الى الشراب ويدفع حسابه والزوجة تدفع حسابها والابن يدفع حسابه والبنت تدفع حسابها • وقد تكون البنت صغيرة ولا تعمل شيئا ولا تكسب شيئا • والرجل الكبير لا يهتم بمصدر أموال بنته • المهم عنده أن تدفع حسابها !

التقيت بامرأة فى ميونيخ فى الثلاثين من عمرها تعمل جرسونة فى مطعم كبير • وسألتها هل تقيمين مع عائلتك ؟

وأجابت بالنفى •

وقلت : ليه ؟

قالت : أبى مات فى الحرب وأمى تسكن وحدها ولم أرهامنذ عشرة أعوام •

وسألتها : هل تسكن خارج ألمانيا ؟

وقالت الست الجرسونة : لا ••• انها تسكن هنا فى ميونيخ • ولكن مشاغل الحياة تمنعنى عنها !

تصوروا مشاغل الحياة تمنع البنت من رؤية أمها وهى تسكن على بعد فركة كعب منها !

وفى ألمانيا ، فى بون عاصمة ألمانيا شاهدت رجلا فخيم المنظر مهيب المظهر يقف فى حديقة عامة يتسول فى زهو شديد • وقال لى سلامة مندوب أخبار اليوم هناك : هذا الرجل المتسول له ستة أبناء بعضهم يركب المرسيدس وبعضهم يملك أرصدة فى البنوك من عدة أصفار •• ولكن الرجل العجوز يتسول لان المبدأ العام هناك لا أحد يهتم بالآخر • حتى ولو كان الآخر أباه أو أخاه أو حماه •• وهذا الاخير أذكره فقط لينبسط مدرس العربى وطلبة الازهر !

والمصرى الاصيل هنا يقطع رحلة حياته ساحبا عائلته فى رقبته • وليست عائلته أبناءه أو بناته ، ولكن خالاته أيضا وعماته وبنات عمة ابن عمه وأولاد عم بنات خاله • قد تكون المسألة قاسية أحيانا ومعطلة أحيانا ولكنها الانسانية العميقة

والعلاقات البشرية ·· كما ينبغى أن تكون · ولذلك يخرج الاصيل من مصر فيختنق ·· فيموت · المصرى الاصيل كالسمكة اذا خرج من بحره تطلع روحه على الفور · والواد الالمانى يرفع يده بالتحية لأبيه ·· باى ·· ثم يمضى على أمريكا ويقيم هناك ويموت هناك دون أن يرسل خطابا واحدا الى الناس الذين كانوا أهله فى يوم من الايام !

فى بيرن عزمنى مدحت حمدى وكيل المكتب الثقافى على ملوخية ناشفة وباذنجان مخلل بالتوم ، وكان اليوم باردا وعاصفا ومطيرا ، وقالت السيدة فايزة حرمه ونحن على مائدة العشاء ، أنا نفسى فى شوية حر ، نفسى فى شوية عرق ، لقد وحشتنى مصر ، ويخيل الى لو خيرونى بين مصر والجنة لاخترت مصر !··

ليس فى هذا الكلام مبالغة أيها الناس ، فأنا سافرت كثيرا وأطول مدة قضيتها فى الخارج امتدت حوالى شهرين وفى خلال هذين الشهرين عانيت شعورا بالمرارة لا حد له ، وشعرت باليتم وأحسست بالوحدة ولو امتدت بى الاقامة أكثر لأحسست بالاختناق وربما مت !··

كان ذلك أيها الناس أيام العدوان وكنت فى بيروت ، واذاعات الاعداء وصحف الاعداء تنشر كل يوم وتذيع كل ساعة أن مصر انتهت ، مصر استسلمت ، مصر ضاعت ، وأن علينا نحن الذين فى الخارج أن نمضى العمر كله فى التجول ·· فى السياحة ، أو فى الصياعة بمعنى أدق ، فنحن ممنوعون من دخول مصر ، والمشانق فى انتظارنا على باب المطار ، ورغم ايمانى الشديد بأن هذا الكلام كذب ، هذا الكلام فشر الا أن ايمانى اهتز فى لحظات ضعف ، وفى تلك اللحظات أحسست بضياع لا حد له ، أحسست كأننى مشنوق من وسطى فلا أنا ميت ولا أنا حى !

ذكريات ماألعنها وما أقساها ، ولكن ما الذى جرجرنى الى الحديث فى هذا الموضوع الذى أتحاشى ذكره على الدوام ؟ آه شركة الخطوط الجوية العربية ، التى هى كريمة والتى هى مضيافة ، والتى دعتنى الى رحلة فى أوروبا على طائرتها الجبارة كوميت ٤ س ، والتى تقطع المسافة من أثينا الى

القاهرة فى ساعة ، والترماى يقطع المسافة من السـيدة الى شبرا فى ساعتين ! ولكن ليس هـذا عيبا أيها الناس ، انها روح بلدنا ، الناس هنا تتشعبط على الترماى وتجرى خلفه و ... والنبى ياكمسارى خد بايدى لما أطلع وحاسب هنـا عشان خاطر سـيدى رزق والناس ماشية فى الشارع على قضيب الترماى تتفسح ، فالدنيا هنا حر ، ولا داعى هنـا للعجلة ، ولا أحد هنا ينام من غير عشا ، الله يرزق الجميع ، وبعد خمسين سنة أيها الناس ستصبح بلادنا مثل ألمانيـا ، ستصبح بلادنا بلد ساعات ، كل شىء يدور فيها كالسـاعة الترماى لا يقف ولا يتمهل ، والنـاس لا تجرى خلفـه ولا تتشعبط ، ولا تتوسل ولا ترجو ، وسيدفع كل منا حسابه ولا يدفع حساب الآخرين ، ولكن صدقونى ستصبح الحيـاة كئيبة وستصبح باردة ، وسيكون محسوبكم فى الثمانين من عمره المديد انشاء الله ! سأكون شيخا على المعاش ولى دستة من الابناء بعضهم يركب المرسيدس وبعضهم يملك رصيدا فى بنك بورسعيد من عدة أصفار !

ولكنى أخشى أن أضـطر عندئذ الى الوقوف فى حديقـة الاورمان أتسول فى عظمة وفي زهو شديد كعجوز المانيا !

ما الذى حرفنا عن موضوعنا الاصلى أيهـا النـاس وكنا نتحدث عن شركة الخطوط الجوية العربية ، والتى أقسم بدينى وايمانى أن طياريها هم أعظم طيارين فى العالم ، الولد منهم أسمر وحدق ومفتوح العين وفهلوى وكريم الى أقصى حدود الكرم ، كنت مع صـلاح طاهر مدير الاوبرا وأعجبته بعض الصـور التى يستخدمها فى عمله ، وبكام ؟ بعشرة شـلن انجليزى ! ومعنا كام ؟ ولا مليم ولا سيجارة ، ولا سيجارة دى ، تعود الى صلاح طاهر ، فقد كان معي سجاير اقتبستها من المهندس همام مهنـدس الاذاعة ، ولجأت الى الطيار مجدى عبد السيد ، ولد فى التاسعة والعشرين من عمره ، وسمين كأنه ممثل هندى ، رشيق كأنه مصارع ثيران أسبانى ، كريم كأنه حاتم الطائى ، وأخرج الكابتن مجدى العشرة شـلنات واشترى الصور صلاح طاهر ، وعبثا حاولنا ردها فى المطار بعملة مصرية دون جدوى ، فقد أصر أن تكون هـدية الطيار لمدير الاوبرا المصرية !

مجدى عبد السيد هـذا قاد الطائرة الجبارة من جنيف الى روما فلم أشعر بأننى فى طائرة ، لم أشعر بأننى فى نفاثة تنى ارتفاع عشرة أميال من الارض وعندما هبط فى مطار روما لم أشعر بأنه هبط ، تأكدت من هـذا عندما دعتنى المضيفة للهبوط من الطائرة ! ومن روما الى أثينا قطعنا المسافة فى ساعة ، ومن أثينا الى الاسكندرية في ساعة وبعد سبع دقايق ونصف بالتمام والكمال هبطنا فى مطار القـاهرة الدولى ، وعانقت مجدى عبد السيد فى أرض المطار ، فلم تكن هـذه التى ركبناها طائرة ، لقد كانت بساط الريح ، وأنا محمود السعدنادى ، على وزن السندبادى طيب الله ثراه !

نفس الشيء حـدث لى وأنا فى طريقى الى فرانكفورت ، الطيار اسمه كابتن حسين كمـال ، طار بى من القاهرة الى روما ، ومن روما الى فرانكفورت ، ثم ودعته وطار من غيرى الى لنـدن ، وأدركت عظمة طيارينا بعد أن ركبت طائرات أوروبا ، الولد الاشقر طيار أوروبا ينزل بالطائرة على أرض المطار كأنها طوبة ، قال لى اذاعى كبير أن طيـار اللوفتهانزا كاد يقتل بعثة صوت العرب كلها وهـو ينزل بهم فى مطار فينا ، وأنا لعنت سنسفيل الطيران فى رحلات قصـيرة على نفس الشركة من كولون الى فرانكفورت ، وقلت لنفسى وأنا فى الطـائرة ، والله وتالله لو وصـلت سـالما معـافا الى فرانكفـورت ما ركبت الطـائرة أبدا ، ولـكن نفسى الامارة بالسوء أغرتنى بركوب الطائرة مرة أخرى من فرانكفورت الى زيوريخ . ومع أنها رحلة قصـيرة الا أننى سببت الاخضرين للطيار الالمانى .. وبالعربى طبعا ، وطبعا ابتسم هـو زهوا فقد ظننى معجبا شرقيا بحسن قيادته !

شيء واحد لم يعجبنى فى طياراتك يا شركة الخطوط الجوية العربيـة ، السيدات والآنسات المضيفات ليس لديهن أدنى فكرة عن مهمة المضيفة . الضـيافة عندهن رغى ولت وعجن ومضغ لبان أمريكانى على طريقة ستات بولاق ، والاشـكال نفسـها ليست مصرية ، ليست من بلدى ، المضيفة بشركة الخطوط الجوية لابد أن تكون من بلدى ، فيها سـمار بلدى وخفة دم بلدى ، وحلاوة بلدى ، ودلع بلدى !

مضيفات الطائرة التى أقلتنى من القاهرة الى فرانكفورت دخلن فى معركة حامية مع الركاب وكانوا جميعا من الطلبة، ولو طالت الرحلة حبتين لحدث صوات وتشليق وضرب بالقباقيب وكأننا فى طائرة الخطوط الجوية المدبحية نسبة الى المدبح ! صحيح أن بعض الركاب أرذال ، وبعضهم انتقل دفعة واحدة من الشعبطة على سلم الترماى الى الطائرة النفاثة وبعضهم ينرفز الحجر ، ولكن مهمة المضيفة هى ترويض أشد الركاب وحشية ، وأكثرهم عنجهية ، وأكثرهم شرها الى الاكل والشرب وباكوات السجاير واللبان !

ومضيفات الطائرة التى طارت بى من جنيف الى القاهرة يا قلب لاتحزن .. احداهن حلوة ورشيقة ومصرية ألف فى الميه واكنها أليطة ألاطة أعوذ بالله ، تخدم الركاب متفضلة عليهم، تخدمهم طبقا للمثل القائل « سيد القوم خادمهم » والادارة نفسها غلطانة ، خصصت هذه الحسناء لخدمة الدرجة الاولى . أما ركاب الدرجة الثانية فلهم مضيفتان من الوزن العجالى . الواحدة تخدمك وعلى تقاطيع وجهها يبدو كل القرف وكل الزعل وكل الزهقان الذى على وجه الارض !

وملاحظة أخرى بشركة الطيران العربية سن بعض المضيفات فوق الخامسة والثلاثين . فى رحلة الذهاب كان معى فى الطائرة واحدة أقسم أنها فوق الاربعين ، وعندما وقع بصرى عليها تشاءمت ، ان السيدة التى سترافقنا الطريق تنذر بالافول ، انها شمس غاربة ، انها عصر مضى وانقضى !

ومضيفات شركات الطيران فى الخارج ولا عصافير الكناريا، شياكة لا حد لها وحلاوة ولا عصير القصب ، تجعلك تتمنى لو تموت معها ، فما أحلى الموت مع هذا الصنف الممتاز من النساء !

خلاصة الامر أيها الناس ، عندنا فى شركة الخطوط الجوية العربية أعظم كباتن على وجه الارض ، وأنا وحق السموات والارض لا أشعر بالطمأنينة ولا أشعر بالامان الا وأنا فى طائرة مصرية !

والحمد لله الذى جعلنى أكتشف خلال رحلتى أن سمعة طيارينا ذائعة فى العالم كله ، اكتشفت أن سمعة الطيار

المصرى تدوى كالطبل فى كل مكان ، ولـــكن آه من الخدمة وسيداتنا الافاضـــل اللائى ركبن النفاثات والشلت لا تزال فى عقولهن وفى ضمائرهن ٠

نصيحة من العبد لله للشركة أن تستعين بطاقم مضيفات من أى مكـــان ولو من جهنم الحمــــراء حتى تربى طاقما من مضيفات بلدنا يفهمن أصـــول الخدمة ، ويعرفن سر المهنة ، وعندئذ ، تصبح شركة الخطوط العربيـــة فى مقدمة شركات الطيران فى العالم كله !

ولقد همست بهذه الكلمات فى أذن الكابتن تيمور ونحن نطير فوق البحر الابيض المتوســط ، فوافقنى على كل حرف قلته ، وقلت له وأنا أتصعب كالنساء ياخسارة ، احسن هيئة قيادة فى العالم وأتعس هيئة مضيفات ، فعلا ياخسارة !

ولكن على أية حال شكرا للشركة العربيـــة للطيران فقد أتاحت لى الفرصـــة لان أرى ثلاث دول عظيمة وغنية ، وأن أخطف رجلى من فينا الى زيوريخ الى فرانكفورت الى ميونخ الى بون الى كولون الى جنيف الى القاهرة فى عشرة أيام ليس الا! وأصبحت بفضلها كونتا ولا أغا خان ، سواحا ولا مليونير ٠ وشـــاهدت بفضـــلها مناظر لاأنســـاها ٠ منظر الطلبـــة العرب فى الخارج ، بعضـــهم جد يشرح القلب يشرف بلاده ، ويرفع رأسها فى الخارج ، يغلق بابه على نفسه ، يدرس فى صمت ويتحين الفرصة للعودة الى بلاده ! والبعض الآخر شىء يكسف ٠ صياع ولا صـــياع شـــارع فؤاد ، بلطجة ولا أيام شارع عماد الدين ، وسجائر ملفوفة وعلب لتقوية الاعصاب ، وقلة أدب ليس بعدها حد !

فى خلال حفــــلة صوت العرب فى ميونخ جاء عشرة من الطلبة من بلد شقيق ٠ يلبسون قمصـــانا مشجرة فى لون الفســـاتين ، وبنطلونات محزقة ، ويمضـــغون اللبان بطريقة مخجلة ، ويدلدلون خصلا من الشعر على وجوههم ولا المرحومة مارلين مونرو ! ووقفوا عند الباب يحاولون الدخول بالعافية، ويدخنون سجاير محشوة بالحشيش ، وراح بعضـــهم يسب ويشتم ، ثم انصرفوا بعد أن حضر البوليس الالمانى ليحفظ النظام ٠

ونصف الطلبة العرب في الخارج طلبة من باب طلب يطلب فهو طالب . نصفهم أو أكثر طالب أكل عيش فى بلاد الغربة وبعضهم متزوج من ثلاث وله دســتة من الاطفال ! والبعض الآخر للاسف الشديد يعمل لمصلحة دوائر مخابرات غربية ، ويتكلم عن المشكلات العربيـــة بلسان خواجا ، وتشم من كلامه رائحة الاسترليني والدولار !

ولكن هناك أيضــا الجانب الآخر المشرق طلبة عرب مـن سوريا ومن لبنان ومن الاردن ومن الضـــفة الغربيـة ومن الجمهورية العربية وليبيا ومن تونس ومن الجزائر والمغـرب والكويت واليمن ، جندوا أنفسهم لخدمة قضـــايا العـرب فى أوربا . ومن اللحظة الاولى جندوا أنفسهم لخدمة بعثة صـوت العرب وانجاح مهمتها . بعضهم كان يحمل الاجهزة لسـعد زغلول المذيع أثناء لهثه وراء العرب فى المانيا وسويسرا ، رغم أن سعد زغلول طويل عريض ولكن يبدو أنه مجوف ، فقـد كان التعب يبدو عليه بعد أول كيلو متر من المشي السريع . وكذلك الحال مع ابراهيم مصباح الذى لازمه ثلاثة من الطلبة ليتولوا عملية الترجمة بينه وبين الالمان ، وخرج ابراهيم من ألمانيا بكلمتين اثنتين لا غير ، تانكشين وبيتشـــين ومعناهما متشكر ومن فضلك !! وعادل القاضي مدير اذاعة فلسـطين الذى راح يبحث فى كل خرم فى فينا عن طلبة من فلسـطين ليسجل لهم ويتناقش معهم وفى النهاية تاه عادل القاضى فى فينا وهو لا يجيد الالمانى الا جودناخت ومعناها مسا الخير ، والغريب أن عادل استطاع بجودناخت هذه أن يتفاهم وأن يستفسر وأن يعود الى الفندق فى سلام !!

ولا أنسى أيضا نوال النحاس وسامية صادق ، وسـعاد القاضي ، نوال الممتلئة صحة الفخـورة بنفسها على نحو ما ، الطيبة رغم مظهرها ، ورغم نظارتها السوداء ! وسامية صادق الرقيقة الضعيفةالنشيطة كنحلة ، الصامتة كأنهاكاهن يؤدىفى معبد الآلهة السبعة ، على عكس نوال النحاس المتكلمة أبدا كأنها مدفع رشاش ! اما سعاد القاضى النحيفة النحيلة كأنها عود لبلاب ، فقد كانت تظهر بسرعة وتختفى بسرعة كأنهـا طيف خيال !

ثم من أيضا ؟ همام وفاروق • مهندسان حملا عبء الرحلة كلها على الاكتاف ، وحملا الامانة بشجاعة وبايمان ، وحفيت أقدامهما من اللهث وراء ساميه صـــادق طـول النهار وفى الحفلات طول الليل •

ونعود الى الطلبة العرب ، وبعضهم خيبة عريضة ووكسة أعرض ، ولكن خيبتهم تهون الى جانب السادة الهاربين من بلادنا الى الخارج ، وبعضهم هارب تحت تأثير وهم ســـيطر عليه ، والبعض الآخر هارب لانه متـــآمر ولانه خائن ولانه عميل • منظر يؤذى المشاعر والعواطف ، منظر رجل يتكلم بلسان عربى وبقلب مصنوع فى الغرب ، وهذا الصنف الاخير يعيش عـــلى حســـنات وشـــيكات حـــلف الاطلنطى ومن يدري ربما شيكات اسرائيل ! وصنف آخر من الهاربين يرفع أعلاما ثورية ويتكلم بشعارات التقدم والمستقبل والحياة ، ويحلل الموقف كما قرأه فى كتاب على أنه تمركز رأس المال فى أيدى الاطراف العليا للبورجوازية فى سبيل فتح أسواق للرأسمالية لخـدمة خمس عائلات فى سبيل تحقيق الهنجورى متلائم مع الشنكورى صاعدا الى أعلى من أجل تصاعد الجهات الفئوية الى آخر أعماق الشتبان !! ويتلفظ الزعيم منهم بهذه الكلمات وهو يرتشـف أقداح البيرة ويمضغ باضراس من حديد فرخة ألمانى فى حجم البطة ، ويدخن ســـجاير انجليزى العلبة بتسعين قرش فى ألمانيا فهل هذا فى ســـبيل الفقراء والطبقة الكادحة ؟! ويا فقراء العالم اتحدوا •• اتحدوا ليشرب الاخ الزعيم اياه بيرة ميونيخ ويدخن سجاير كرافن ويأكل فراخا فى حجم الكلاب !

• لم يكن ممكنا أيها السادة أن يجتمع العرب في أوروبا الا حول فرقة فنية •



الله يرحم بيرم التونسى فقد داخ دوخة الارملة وهو هـارب فى أوروبا من منجم الى قهوة ومن قهوة الى رصيف • الله يرحمه ويحسن اليه فقد كان هاربا من بلاده مطاردا كالكلب الجربان ورغم أنــه كان فنانا ولا كل الفنانين ، أديبا ولا كـل الادباء ومشهورا ولاكل المشاهير فقد عاش فى أوروبا عيشة جرسون ، وكان من الممكن أن يموت ميتة شحات ولكنه سرعان ما عاد الى مصر ، متسللا تحت جنح الظلام ، قاصــفا ســن قلمه الحاد الجرىء ، طاويا ضميره داخل نفسه وعاش فترة فى بلاده يأكل عيشه مغموسا فى الذل والخوف حتى أدركته الثورة !

هكذا أيها الناس عاش بيرم التونسى عندما هرب من بلاده رافعا لواء الثورة على الحكم الفاسد والنظام الذى نخر فيــه السوس ، وهكذا عاش كل الاحرار الذين هربوا من مصر خلال عصور الجهالة والظلم والارهاب ، عاشوا فى أوروبا بلا صديق ولا رفيق ولا معين وكان بعضهم يشــارك الكلاب فضـلات الطعـام ! ••

ولكن كم تغيرت الصورة الآن ؟ كم انقلبت وتشقلبت هذه الايام ؟ أى صعلوك هارب مـن بلادنا الآن يعيش فى أوروبا عيشة الملك ! أى جربوع يعلن فى أوروبا عداءه لنا ، لنظامنا ، لرئيســنا ، فلـه قـدح دولارات كل يــوم من حلف الاطلنطى الذى كرس خزينته لحماية « الاحرار » فى كل مكان ! وأى جربان يستطيع الآن أن ينزل فى أفخم فنادق جنيف ، ويتمدد على رمال شواطىء فرنسا ، ويراقص أجمل الجميلات

في ملاهي فرانكفورت ، بشرط واحد وبشرط وحيد ، هو أن يشتمنا كــل يوم في جريدة أو ينبح ضدنا كل مســاء عــلى موجات الاثير ! ..

لماذا أيهــا الناس داخ بيرم التونسي دوخة الارملة ؟ ولماذا أيها الناس يعيش الجرابيع اليوم عيشة مهراجات الهنود ! .

السبب بسيط أيهــا النــاس ، فلقد كان حكام مصر أيام زمان أصدقاء للغرب ، كانوا قوادين للغرب وكل ثائر عليهم ثائر على الغرب ، فاذا هرب من بلاده الى الغرب ، صاع وضاع وعاش عيشة كلبة يزيد ! .

ولكن غير الهاربين من الخوف والضـــياع هناك فئة أخرى ضائعة ، ناس سافروا الى أوروبا أول الامر ليتعلموا فصدمتهم أوروبا وحركت في داخلهم كل عقــد النقص ، أوروبا نظيفة وبلادنا وسخة ، أوروبا حلوة وبلادنا قبيحة ، أوروبا متعلمة وبلادنا جاهلة ، وهــو متعلم ومعه شــهادة والاجر فى مصر عشرون جنيها وفى بلاد الخواجات مائة جنيه ، وملعون أبوالذى يعود الى بلاده ، فهنا نسوان ولا القشطة الصابحه ، وانحلال ولا مدينة بومبى ، وعاش أكثرهم فى أوروبا متوهما أنهعالم ، علمه خسارة فى بلاده ، الجاهلة ، المظلمة ، التىلاتقدر العباقرة الأفذاذ أمثاله ! .

ونوع آخر لا ينفع طبله ولا طار ، وجوده عار ، وانتسابه لنا فضيحة ، وكلهم طلبه الى الابد ، منــذ عشرة أعــوام كان طالبا ولا يزال وسيموت طالبا وسيحشر يوم القيامه فى زمرة الطلاب ! ويجلس الواحد اليك يتحدث والبايب ترتعش بين أسنانه ، ودخانها يتلولو فى الجو كحلقات السلسلة الذهبية التى تتدلى مــن عنقه ، ويجلس بالساعات يتحدث معــك عن كفاحه فى أوروبا ، وعلمه الغزير الذى استفاده من وجوده فى أوروبا ، وكيف انه يستطيع أن يميز بين بائعة الهوى وغيرها مــن أول نظرة ، وكيف يســتطيع ســيادته أن يصرع المرأة الاوروبية بحلاوة شنبه .!. .

وفى أوروبا أيهــــا النــاس ٣٥ الف عربى مــن مختلف الجنسيات ومختلف المشارب والمزاجات ، ولقد كانت حفلات

« صوت العرب » فرصة لاجتماع هذا العدد الكبير من الناس ، وكانت فرصة للمناقشة ، وكانت فرصة لاكتشاف الخيوط التى تحرك ضمائر البعض منهم وهى ضمائر يعلم الله انها ماتت وفاحت رائحتها منذ زمن بعيد ! ٠

فى ميونيخ مثلا انتهت الحفلة بعد منتصف الليل ، وخرج العبد لله فى وفد من الطلبة الى مقهى على الرصيف واحتدم النقاش بيننا حتى الصباح ، ولقد اقتنع البعض منهم بمنطقنا ومنطق الطلبة الذين يؤمنون معنا ، وأصر البعض على منطقة السقيم ، وقام كل منهم يتحسس جيبه المنفوخ بمحافظ جلد التعبان ! ٠

ولكن أبناء بلدنا الاصلاء لم يتأثروا أبدا بمظهر الحياة فى أوروبا ، الواحد منهم لا يزال فلاح أبن فلاح ، عتره ومفتوح العين ، واحد منهم فى مناقشة نهض ثائرا وأشار بأصبعه نحو ثلاثة من جماعة أنصار مضغ اللبان وقال على الطلاق بالطلاقه الناس دى خونه وبيشتغلوا مع الانجليز والامريكان ! وسكت السادة الثلاثة وانصرفوا فى هدوء ٠٠ مريب ! ٠

ولم يكن كل شىء سيئا أيها النـاس بعض الاشياء سيئة فعـلا ، ولـكن أكثرها كان شـيئا جميـلا يرد الروح ويفتح النفس ٠ طالب من عائلة الطحاوى فى الشرقية له فى ألمانيـا ثلاث سنوات لم يراسـل أهله خلالها ولا مرة ، وعندما جاء حفلة صوت العرب فى بون وسجل معه سعد زغلـول حديثا فى الراديو موجها الى أهله اغرورقت عيناه بالدموع ٠٠ هذا المسكين تذكر أهله فجأة وهو أمام الميكرفون يتحدث من خلال صوت العرب الى أهله فى الشرقية ، ولقد نسى المسكين خلال السنوات الثلاث انه مصرى ، بهرته أوروبا وصـدمته ففك عقدة الدوبارة التى كانت تربطه بذويه فلما اسـتيقظ فجأة عادت الدوبارة تشده من عنقه الى مسقط رأسه فبكى ولا طفل يرضـع ! ٠

وفى حفلة صوت العرب بفينا التقيت بالدكتور الشهاوى ورغم أن الحفلة كانت تضم أربعة آلاف طالب عربى واربعـة آلاف نمسـاوى الا انه كان أبرز الجميع ٠ انه الطبيب المصرى

الذى كان أول الخريجين على جميع طلبة العالم فى كلية الطب بفينا ، والذى قال له رئيس جمهورية النمسا وهو يسـلمه شهادة البكالوريوس « اننى فخور أيها العـالم المصرى بك ، فانت وان كنت من بلاد غريبة الا أنك مفخرة للنمسـا كما انك مفخرة لبلادك » .

وفى نفس الحفلة ، فى فينا ، التقيت بوفد من ضباط جيش العراق العظيم فى نهاية الصالة ، وكانت مظاهرة عربية وطنية حين وقف الضباط الشبان فى نهاية الحفلة يهتفون لعبد الناصر وللقومية العربية ! .

وفى حفلة بون التقيت بطالب عربى من سـوريا قطع مئات الكيلو مترات من هامبورج الى بون ليحضر حفلة صـوت العرب وفى بوفيه المسرح ، قال الطالب السورى وهو يشرح لى أزمة الطلبة العرب فى أوروبا « اننا هنا كثيرون تصور ٣٥ ألف طالب فى أنحاء أوروبا لايربط بينهم رابط الا انهم عرب وانهم سمر وانهم حيارى وسط هذا العالم المضطرب الغريب عنهم اننى أحيانا ألتقى بطالب عربى فى الطريق فالقى عليه السلام بصوت مبحوح ، ويرد السلام بصوت مسلوخ ، ثم ينصرف كل منا الى حال سبيله ، وعلى أية حال هذه الحفلة كانت فرصة للاجتماع ، وفرصة للقاء ، وأرجو أن تتكرر هذه الفرص فى المستقبل ، فما أحوجنا نحن العرب فى الخارج الى من يذكرنا ببلادنا وبالمنبع الذى تفجرنا من داخله ذات يوم الى هـذا المصب الغريب ! » .

وكلام هذا الطالب السورى صحيح وسليم ولا غبار عليه ، فرغم هذا العدد الهائل من الطلبة العرب والعمال العرب فى الخارج فما أبشع الصورة التى يعرفها الغرب عنا ، لايزال العربى فى ذهن الالمان مثلا هو الرجل الملتحى الشاهر سيفه القابع داخل خيمته الذى يخشى الخروج ليلا حتى لا يأكله وحش الفلاة ، ويخشى الخروج نهارا حتى لاتأكله التماسيح التى ترتع فى الشوارع ! والاغنية العربية الوحيدة المشهورة فى العالم هى أغنية يامصطفى والتى ذاعت وشاعت فى أنحاء

العالم واشتهر صاحبها بوب عزام وأثرى ثراء جنونيا والتى تقول أنا باحبك أكتر من صلصة الطماطم يامصطفى ! وهات الجوزة والجدعان وتعال نروح عند الشيخ ريحان يامصطفى !

هذه المصطفى يا مصطفى هى كل ما يعرفه العـــالم من موسيقانا ولقد حدث فى احد ملاهى فرانكفورت وأنا جالس على ترابيزه كأنى كهرمان الزمان أن نزل قائد الفرقة الموسيقية من فوق المسرح واختار زبونا يجلس الى جوارى ۰ سمين كأنه خنزير ،وجهه أحمر كالبطيخة الشيليان ، ووضع المايسترو قبعته فوق رأس الرجل السمين ، ووضع عصا القيادة بين أصابعه ، وصعد الرجل الى المسرح وقاد الفرقة الموسيقية ، وعشان عيونه ، ولانه أمريكانى ، فقد عـــزفت الفرقة قطعة موسيقية أمريكية شـهيرة ۰۰ وصفق النـــــاس فى الملهى الفرانكفورتاوى للرجل الأمريكاوى وموسيقاه ! ثم جاء دورى فى النهاية وصعدت مع المايسترو الى خشبة المسرح والبرنيطه فوق رأسى ، والعصايا بين أصابعى ولا أحمد فؤاد حســـن فى زمانه ! وعندما عرف المايسترو اننى مصرى سألنى عن المقطوعة المصرية التى أود لو تعزفها الفرقة لى ! وقلت لهوالله زمان يا سلاحى ، ولم يفهم الرجل شيئا ! طيب يازهرة فى خيالى ، ولم يفهم شيئا ۰ طيب النهر الخالد ، ولم يفهم شيئا طيب أيوب المصرى ، وضحك الرجل فقد ظننى مصرى قديم أتحدث بالهيروغلوفية واننى أطلب منه أن يعزف موسيقى لا يعرف خبرها الا علماء الآثار ! وأخيرا عزف الرجل لى يامصطفى وصـــفق الناس فى الملهى فقد فهموا أن العبد لله مصرى من بلد سى مصطفى !

لذلك ۰۰ انشرح قلبى وأنا جالس مع أحمد سالم وكيل مكتب مصر الثقافى فى بيروت نستمع الى راديو ســـويسرا يذيع لمدة ساعة كاملة أغنيات عربية سجلها أثناء حفلةصوت الضرب فى بيروت ، اغنية لعبد الحليم وأغنية لصباح وأغنية لفايزة ، ومع الاغنيات الثلاث حديث عن الموســـيقى العربية والحديث اشترك أحمد ســـالم فيه باعتبـــاره وكيل مكتبنا الثقافى للشئون الفنية ! ۰

واذا كان صوت العرب قد نجح فى شىء فهو فى جمع هؤلاء العرب ، ولم يكن ممكنا أن تجمع العرب فى أوروبا حول محاضر يتكلم عن مستقبل المنجنيز فى بلاد العرب أو حـــول خطيب ساحر البيان يتحدث عن الهول الاعظم فى يوم الحشر العظيم!

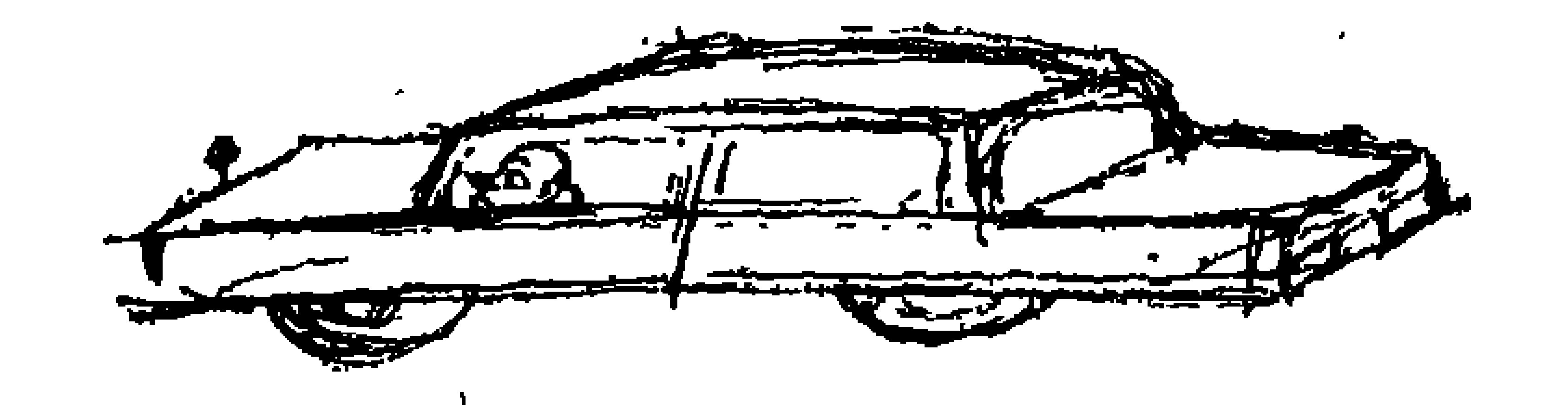
لم يكن ممكنا أيها السادة أن يجتمع العرب فى أوروبا الا حول فرقة فنية ، واسألوا اسرائيل أيها الناس · فهى لاتجمع يهود أوروبا وغير أوروبا الا بفرقة من أجمل نساء الارض ، وهى فرقة لا تغني ولاترقص ولكنها تتعرى · تقف الفرقة كلهـــا وعلى أنغام الموسيقى اليهودية تخلع كل بنت فى الفرقة ملابسها قطعة قطعة حتى تصبح ــ يكفيكم الشر ــ حتى تصبح مثـــل قطعة الجيلاتي من صنف الكريم ! هذه الفرقة الاسرائيلية أيها الناس بعد أن دارت حتى داخت ، ولفت حتى تعبت ، ذهبت أخيرا الى ايران وشاه ايران أيها الناس مســـلم ويؤمن بالله واليوم الآخر ولذلك حضر جلالته حفظه الله حفلة افتتاح الفرقة الاسرائيلية ، وقيل أنه انبسط كثيرا وانشرح قلبه كثيرا وهو يتفرج على بنات اسرائيل العاريات !

ولكن أيها الناس رغم كل مارأيت وشاهدت وتفرجت هزنى من الاعماق شاب مصرى اسمه زكريا يعمل جرسونا فى فندق جود سبرج فى ألمانيا ، هذا الجرسون زكريا كان يتصرف كأنه سفير · سألته عن السبب قال لى كل حركة محسوبة علينا هنا وهى لا تحسب على أشخاصنا ولكنها محسوبة على وطننا انهم هنا لن يقولوا أن « زكريا » سيىء ولكنهم ســـيقولون مصر سيئة ··

زكريا فى ألمانيا منذ ثلاثة شهور · ذهب اليها يجيد ثلاث لغات ، الانجليزية والعربية الفصحى ، والعربية العامية ومن ثلاثة شهور أصبح يجيد الالمانية وهو الآن يتعلم الفرنســـية وبعد عام فى ألمانيا سيحاول دخول احدى الجامعات ليصبح مهندسا للكبارى !

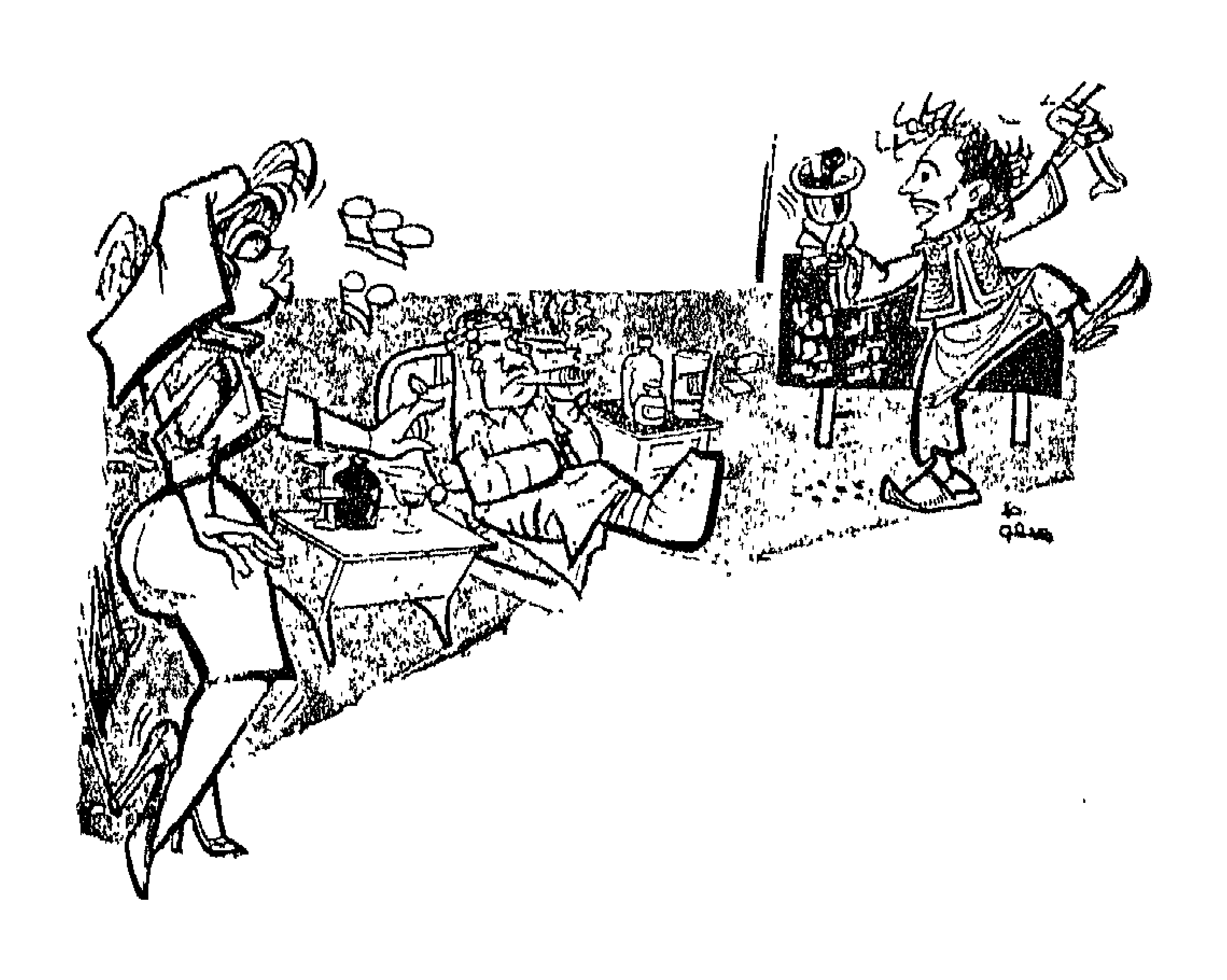
وأنا والله العظيم ، وبحق هذا اليوم المفترج ، وهو مفترج باعتباره يوم الاجازة للسادة الحلاقين ، وقفت على ضفاف بحيرة

ليمان في جنيف ومعي وفاء حجازى قنصل مصر هناك ، وفجأة وقفت ، وأمرت وفاء بالوقوف ، وقرأت الفاتحة ، وظن وفاء حجازى أنني انخبلت فى عقلى فقال ، ايه الحكاية ؟ وغمزته أن يسكت فسكت ، ثم غمزته أن يقرأ معى الفاتحة ، فقرأ ، وعندما انتهينا سألنى ·· ليه ؟ وقلت قرأتها على روح بيرم التونسى ، وقال ·· والمناسبة ؟ المناسبة اننى شاهدت الان هربان مصرى اسمه الجابرى فى سيارة مرسيدس ٢٢٠ . وهى سيارة لا يركبها الا السفراء والحكماء ، يعنى الحكام ، والبنكاء ·· يعنى اصحاب البنوك وهذه المرسيدس التى يركبها صاحبنا هى من عصير دم الشعب المصرى ،وهى كفته من جثث شهدائه !



◆ عندما مددت يدى أودع البنت الحلوة قلت لها على طريقة أبطال السيما : هكذا نفترق دون قبلة وكأننا غريمان نتبارز بالسلاح .. ◆

يابلاش .. عبقرى للبيع !!



يا بلاش أيها الناس !! فرصة عظيمة فلا تدعوها تفلت من ايديكم ، فرصة اقتناء عبقرى فى منازلكم ، فى حجرة النوم ينفع ، وفى حجرة الصالون يصلح ، وفى الانتريه ماأحلاه ، فى الصالة كسمك الزينة ماألطفه ، فى البلكونة كعصافير الجنة ياسلام ، على الباب كالكلب الرومى أجارك الله !

العبقرى أياه هو العبد لله محمود السعدنى .. كاتب قصة قصيرة دائما وقصة طويلة احيانا ، ومؤلف برامج اذاعية حسب التساهيل ، وكاتب مسرح مش بطال وصحفى منتشر كسجاير البلمونت ، وصاحب صوت أجش يصلح فى المآتم والمصايب وخلف الجنازات وصاحب خلقة فظيعة لتخويف ابناء الجيران فيلزموا الهدوء والسكون وتستطيع ـ يامن تشترى ـ أن تنام وقت الظهيرة وتتقلب على الجنبين دون أن تأرق أو تستيقظ باذن الله !

ويا حضرة المشترى المجهول .. ابسط فلن تشترى العبقرى وحده ، فكل عبقرى كما تعلم له اكسسوار . واكسسوار حضرتنا عشرة كتب وثلاث مسرحيات ومائة الف مقال ، وألف حديث اذاعى ، وقلم أبنوس بنكله هو الذى كتب كل هذه الأقق من الاوراق ، واسألوا باعة اللب والفول السودانى كم طنا كتبت وكم رزمة سودت ؟ الهى يسود عيشة الذى لا يحضر هذا المزاد ويهرش جيبه ويصلى على سيدنا النبى ويدفع فى العبقرى ما يستحقه العبقرى حين يباع فى المزاد !

والله يعطى الصحة لتوفيق الحكيم أستاذنا وعمنا ، فرواية

السلطان الحائر هي التي أوحت لنا بهـذا المزاد ، حين عـرض سلطانه الحائر بين السيف والقانون للبيع في المزاد مفضـلا القانون على السيف ، والتريقة من عباد الله على البطش بعباد الله ٠٠ وأخوكم العبقرى الحائر ٠٠ أنا ، حائر أيضا بين ألف جنيه والانتحار ٠ أما ان انتـحر وأموت وأدفن فى التراب وهى مسألة ليست ظريفة وليست لطيفة خصوصـا وأننى فى شرخ الشباب ، وفى شرخ الشباب دى لان أى لفحة هواء أو لطشـة برد تشرخ صدرى وظهرى وتجعلنى اكح ولا خشب يطقطق فى أتون من النار ، وأما الحصول على ألف جنيه مصرى بالتمام والكمال أحياكم الله ــ عـلى رأ ى المسحراتى ــ الى كل عام !!

وأصـل الحـكاية ياحضرات الزبائن الـكرام أن السـلعة المعروضة للبيع فى المزاد ، والتى اسـمها محمود السـعدنى والثمن الف جنيه ٠٠ يا بلاش ! له بنت اسمها هالة ، وهى نقيض أبوها ، والحمد لله ، فأنا فى جمال الشامبانزى وهى فى حلاوة الموز ، أنا أصـفر من فصيلة اليابان ، وهى شـقراء من السويد ، أنا أصلع ، وشعرها فى لون النبيـذ ! البنت هالة باختصار مريضة ، ومرضها عضال ، والطب يقول انها مشلولة والشلل قاتله الله سبب لها اعوجاجا فى الحـوض ، وعلاجهـا فى المانيا عند دكتور اسمه لانجى فى مستشفى جراحة العظام فى ميونخ ، مدينة هتلر والبيرة والفراخ التى فى حجم الكلاب! العلاج عند لانجى ، ولانجى فى ميونيخ ، وميونيـخ عاوزه ألف جنيه ، والالف جنيه أو الانتحار ، والانتحار صعب ورهيب ، والشلل صعب ورهيب هو الآخر ، والشلل مرض الذوات ولا يصيب الا الطفل النظيف ، لا يتسلل الى بيتك الا من خلال النظافة ، هكذا يقول الطب وأنا اصدقه ! فانا ورب الكعبة ، أكلت طوبا فى طفولتى ٠٠ أكلت قشر بطيـخ ، سـفيت من تراب الحارة ، شربت ماء من البرك ، والبرك ورد ذكرها فى بعض النصوص القديمة كفجل بطينه ولا غسيل البرك ، ومع ذلك ، وبرغم ذلك ، لم يصبنى شيء لا شلل ولا كساح ولا لين عظام ٠ ولكن بنتى هالة لم تشرب من البـرك ، لم تلحس من تـراب الحارة ، ولم تأكل قشر بطيخ ، وكانت نظيفة وجميلة وحلوة كقطعة السكر ، ثم فجأة أصابها الشلل !

وقال القومسيون الطبى فى مستشفى الجمهورية ، بنتك مصابة بالشلل ، وفى حاجة الى عملية ، والعملية عند دكتور لانجى ، ودكتور لانجى فى ميونخ ، وميونخ فى ألمانيا ، والسلام عليكم ورحمة الله ٠

وسلمونى ورقة فيها هذه البيانات ووضعت قدمى فى الطائرة وقلت الى ألمانيا ٠ وقبل ألمانيا نزلت فى سويسرا وسويسرا بلد الطب والتمريض والدواء ودخلت مستشفيات كالفنادق الكبرى ، مستشفيات بالمجان ، المريض فيها يدفع ثلاثة فرنكات ويعيش عيشة المهراجات ٠ الافطار فراخ ، الغدا فراخ ، والعشا فراخ والدواء آخر صيحة فى دنيا الدواء ، والعلاج آخر صيحة فى دنيا العلاج ، والطبيب بروفيسير عبقرى يهب الشفاء للمرضى ، ويعيد الموتى ـ أستغفر الله ـ الى دنيا الاحياء

ودخلت المستشفى على اطراف اصابعى كانى فى معبد ، كان معى مدحت حمدى وكيل المكتب الثقافى فى سويسرا ، وهو صديق للبروفيسير ، ومع ذلك لطعتنا الست الممرضة عند الباب ثلاث ساعات ، لان الدكتور بيمر على مرضاه ولو جاء رئيس الاتحاد السويسرى نفسه لظل ملطوعا عند الباب حتى ينتهى الطبيب من اللف على مرضاه ٠ وأخيرا جاء الطبيب وصافحنا فى هدوء ، وخطف التقرير الطبى من يدنا ، وقرأه عدة مرات ، وقال هذه الحالة من اختصاص بروفيسير فلان وحكمة الله أن المرض حالات ٠٠ وكل حالة لها بروفيسير للكساح للجراح للسرطان ، وأعرف هنادكاترة سلطة ولكن يبدو أن دكاترة سويسرا الايحبون المخللات ، فكل دكتور وله حدود ، وكل حالة لها دكتور ٠ وانصرفنا من هناك الى البروفيسير فلان اوكان البروفسير اياه فى حالة انسجام فى مكتبه ومدير مكتبه دكتور وسكرتيرته ممرضة ٠ ودخلنا عليه ، وبعد السلام والكلام ، قال هذه الحالة من اختصاصى يامستر حمدى ـ يقصد مدحت حمدى ـ وعلاجها بسيط ، وشفاؤها مضمون باذن الله ، وتتكلف للاقامة والعمليات والعلاج ٨٠٠ جنيه مصرى بالتمام والكمال ! وسلمنا تقرير بهذا الكلام ونهض معنا وودعنا عند الباب وقفا حضرتى يقمر ثلاثة أرغفة بلدى مضبوطة الوزن ولاتنقص جرام!

وودعت مدحت حمدى وتشعبطت فى القطار الى ميونخ ، وقلت لعل وعسى يكون العلاج فى المانيا أرخص وهو على اية حال أحسن ، والدكتور لانجى رجل بلدياتنا ، فهو من ميونيخ، وأنا من ميونف ، اقصد من منوف ، وميونخ فى بافاريا ، وهى فلاحين المانيا ، تماما كالمنوفية فى مصر ، وحتما سيفهمنى وحتما سأفهمه ، والفلاح للفلاح كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، وكالدكتور للمشلول يعالج بعضه بعضا !

ورحت على ميونخ وسألت على الدكتور بلدياتى ، ويادهية دقى ، الدكتور لانجى الفلاح عنده جيش من السكرتارية . الدخول عنده بتذاكر ، وبالدور ، والدور قد يصيب العبد لله بعد عام ، ولكى ادخل عليه فلابد أن انتظر عاما طويلا ، وقد ادخل ، وقد لا أدخل فكل شىء قسمه ونصيب !! وقال لى أحد الناس الطيبين اذهب الى أى المانى عليه الدور واستأذنه واكتشفت أنها مسألة صعبة .. فلكى أذهب الى اى ألمانى ينبغى أن اتعلم الالمانى واللغة الالمانية كاللغة الماتوسيانى صعبة ووعرة ، ولكى اتعلم الالمانى ينبغى أن أقضى ثلاثة أعوام فى المانيا ، والانتظار فى الدور اسهل وأقرب ، فحملت أمتعتى وعدت الى القاهرة !!

ويشاء السميع العليم أن اعود مرة اخرى الى أوروبا وفى نفس الصيف ، وقلت لنفسى اخطف رجلى مرة اخرى الى المانيا مع بعثة العرب لعل وعسى تلقى الدكتور لانجى ولعل وعسى يكون العلاج رخيصا أرخص من سويسرا . ولكننى اكتشفت فى الطائرة اننى فقدت التقرير الطبى الذى معى بسبب لهوجة السفر ، وعثرت فى جيوبى لستر المولى على التقرير الطبى مكتوبا بالعربية وتلفت حولى فى أنحاء الطائرة العربية الضخمة ابحث عن طبيب مختص يستطيع ترجمة التقرير .. وأغرب شىء اننى وجدت الطبيب المختص فى المقعد الخلفى . وكيل كلية الطب بجامعة الاسكندرية فى طريقه الى لندن مع ابنته الصغيرة مثل هالة مريضة وفى طريقها للعلاج .

وعلى كيس كهذا الكيس الذى نشترى فيه الفول السودانى كتب لى الدكتور التقرير الطبى مترجما بالانجليزية وجلست

معه الى فرانكفورت استمع اليه وهو يصف لى كيف داخ دوخة
ينى فى علاج هذه البنت الصغيرة التى فى شكل الوردة ·
والحمد لله الذى جعل العبد لله صحفيا ولم أكن دكتورا ·
فتصور نفسك طبيبا وتعجز عن علاج ابنتك · رجل مثلى كلما
ضاق بى الحال ، واستبد بى الغيظ والغضب على حال البنت
المايل اسرعت فكتبت مقالا أو قصيدة ، وأظل اكتب ساعات
عن المرض الذى فتك الحشا بزعازع المرجوح ، وكلام فارغ من
هذا النوع ، ثم أنام وأستريح ظنا منى أن الشعر علاج كافى
لكل مرض · ولكن عندما تكون دكتورا وتفهم فى الطب فهى
مصيبة بدون شك · فأنت تفهم المرض أولا ، وتعرف سره ،
وتقف على أدق اسراره وتطوراته وتحركاته وتشعباته وقد
تكون على علم بنتائجه ، ومع ذلك تقف مكتوف اليدين لا
تستطيع أن تحرك ساكنا ولا أن ترد ولا أن تمنع وقوع
الكارثة !

ونزلت ميونخ فى الظهر والدنيا حر أعوذ بالله وخطفت رجلى
الى الدكتور لانجى ، ولم أجد أحدا هناك · لا الدكتور لانجى
ولا مدير مكتبه ولا سكرتيريه ·· وعدت الى فندق الدوتشت
كايزر حزينا محسورا · وقضيت الليل فى ميونخ مع مدير
البعثة التعليمية العربية عبد المنعم عامر · ورغم جمال الليل
وجمال الصحة وجمال المكان الذى كنا فيه فقد قضيت الليل
بطوله حزينا مهموما ! فهاأنذا فى ميونخ للمرة الثانية ، وهاهو
الدكتور لانجى على مرمى حجر منى لا استطيع أن أراه !!
وشعرت انى لا أصلح لوظيفة والد ! لو اننى كنت والدا
بصحيح لقاتلت بالاظافر والاسنان لاقابل الدكتور لانجى ، لو
اننى والد بحق وحقيق لاستعملت ، المسدسات على طريقة
فتى أو كلاهوما وقفزت من فوق حصانى على عيادة الدكتور
لانجى والقناع فوق وجهى ومسدسى فى يدى ، ولقلت له
بلسان معووج ·· أيها الدكتور لانجى ارفع يدك الى أعلا ولا
تتكلم ولا تحاول أن تصرخ والا ·· فان رصاص مسدسى
سيكون اسرع من صرخاتك ومن حركاتك ، ولكنت تقدمت
اليه بورقة وطلبت منه أن يوقع عليها دون احتجاج ودون
اعتراض ·· ورقة مكتوب عليها : أتعهد انا الدكتور لانجى

جراح العظام الجامعى لعلاج هالة كريمة فتى أوكلاهوما الشهير بمحمود السعدنى مقابل لاشىء حسنة لوجه الله العلى العظيم !!

ولكن ياميت خسارة أيها الناس على اللى حب ولا طالشى !!

فأنا لست فتى أوكلاهوما ، والامور فى الحيـاة لا تجرى عـلى النحو الذى تجرى عليه فى السـيما وفوضت امرى الى الله وقلت سبحانك ٠٠ تقول للشىء كن فيكون ! ولقد كان أيها الناس والتقيت بالدكتور لانجى ٠

اكتشفت فى الليلة التالية أنه يجلس بجوارى فى صـالة المسرح حيث كانت سامية جمال تتلولو تحت الاضواء الملونة الخافتة وعلى انغام الموسـيقى الحالمة الجميلة !!! جاء الدكتور لانجى معزوما من طرف الطلبة العرب الذين يدرسـون فى جامعة ميونيخ ٠ رجل قصير نحيف كأنه ليس من المانيا ، حاد النظرات شديد المرح ٠ وصافحته وصافحنى ٠ ومددت يدى اليه بالكيس الذى يحمل التقرير الطبى وقرأه الرجل مـرة ومرتين وثلاث مرات ، وقال وكأنه يقرأ من كتاب مفتوح ، العلاج يحتاج الى ثلاثة أشهر بصفة مبدئية والتكاليف ٨٠٠ جنيه مصرى ٠ نفس الكلمات المأثورة التى نطق بها البروفيسير السويسرى ٠٠ وكأنهما على اتفاق !

وكانت سامية جمال لا تزال تتلولو فوق خشـبة المسرح ولكنى حين نظرت اليها لم تكن هى سامية جمال التى أعرفها كانت ثعبانا فعلا يرقص استعدادا لأكلى ، تحولت سـيقانها الرشيقة الى خناجر لا تدب على الارض ، ولكنهـا تندب فى بطنى ، والنور الخافت تحول الى نار متأججة تأكل مصارينى وتلهب كبدى !!! والمسرح الطويل العريض تحول الى مقبـرة لشخصى ، وهذا الضجيج والعويل والصخب الشديد هو يوم حسابى ويوم عذابى !

مسكينة ٠٠ هالة الصغيرة ٠ لن تشفى ٠٠ سـتظل ابد الدهر مريضة وكسيحة ومحكوم عليها أن تزحف كالدودة ٠

وخرجت من ميونيخ فى اليوم التالى ايد ورا وايد قدام كمـا تقول خالتى ٠ ولكنى خرجت منها بصداقة مع ممرضـة فى العشرين من عمرها ، ملاك رحمة بحق وحقيق ، وضربت معها

غلبة ولضمت معها بحركة فهلوة ، وجرجرتها الى سهرة مع العبد لله فى مرقص عام ، وأنا لا أعرف كيف أرقص • ومن أول شوط أكتشفت خيبتى العريضة ففضلت الجلوس معى ومشاهدة الرقص من بعيد لبعيد ، ورفضت المسكينة من باب الذوق كل دعوات الرقص التى وجهها اليها شبان كالورد ، ورجاله بشوارب يقف عليها الصقر ، وعيال تلامذه يرقصون مع الست مقابل كأس من الخمر •• والست هى التى تقدم الكأس !!

وجلسنا نرغى ونثرثر ولم تقبل الست أن أقدم لها شيئا رغم الحاحى الشديد ، ولم تقدم لى شيئا ولم تعزم على العبد لله ••

قلت لكم ان الست اياها كانت ممرضة •• مجرد ممرضة ، حلوة ككوز العسل ، رشيقة كعود القصب السليم •• يا قصب • ولانها ممرضة ولأن بنتى مريضة فقد حكيت لها القصة كلها ، واستمعت اليها بحذافيرها • ثم راحت تشرح لى الحالة وتصف العلاج •• حتى أدق خطوات العلاج ، حتى أخطر مراحله •• وخيل الى ان الذى يتكلم هو الدكتور لانجى وليست ممرضة غلبانة •• وتذكرت نفسى وأنا فى مستشفى معهد فؤاد الاول للابحاث عام ١٩٥٣ ، وكنت فى حجرة وحدى ، وعندما تكون الست الممرضة سهرانة فى الليل ، نصبح حسب منطق الامور وحدنا فى الحجرة • ولا يوجد رجل وامرأة الا والشيطان ثالثهما • لذلك كان الشيطان ثالثنا كلما اصبحت الممرضة والمرأة – أقصد أنا – فى الحجرة • وبالطبع نشبت بيننا قصة حب كما يحدث عادة فى الفيلم المصرى ، والبت كانت سينمائية ، أقصد متأثرة بالسينما وأفلامها وقصصها التافهة الرخيصة • وكانت تصر دائما على اننى أشبه كمال الشناوى رغم أن كمال الشناوى بشارب وأنا كنت وقتئذ حليق الوجه ! وكانت كلما لمستها أو سألتها أو زغزغتها بكت ، وكانت تبكى بدموع مخلصة ، ليس لانها زعلانة أو غضبانة ، ولكن لانها شاهدت البطلة فى السينما تبكى على الفاضى وعلى المليان !

وفى الليالى الطويلة التى عشتها داخل المستشفى كان

المريض من دول يجعر بالصوت الحيانى طالبا النجدة والست مشغولة معى بقصـــة الغرام • فاذا أصر المريض على الصراخ وهبت هى لنجدته ، ضربته بالاقلام على قفاه وعلى صدغيه ، فاذا أصر رغم ذلك على أن يتنـــاول العلاج ، غرزت فى يده حقنة فيها ما اتفق من الدواء ، والى حيث انحشرت فى جسمه فليس مهما أن يكون المكان الذى انحشرت فيه هو المكـــان الصحيح !

وأذكر أيضا أن رجلا من المرضى مات فى المستشفى ذات مساء • واحتاست الست الممرضـــة ماذا تفعل ! وأغرب من ذلك أنها لم تكن تدرى أنه مات الا بعد أن أكدت لها أنا هذا الامر • واكتشفت تلك الليلة أنها تفهم فى مهنة التمريض كما أفهم أنا فى علم الفلك !

ولما كنت حريصا على حياتى فقد سحبت هراديبى فىاليوم التالى ويازوغان بعيدا عن الست الممرضة حماها الله !

تذكرت القصـــة وأنا جالس مع الست الممرضـــة الالمانية «تينا» ثم تذكرتها مرة أخرى عندما ذهبت اليها فىالمستشفى أودعها قبل الرحيل • مســـتشفى ولا هيلتون أيها الناس • تســـتطيع أن ترى وجهك فى البلاط ، الغرف كلهـــا مكيفة الهواء ، كل شىء يتحرك على عجلات ولكن بلا ضوضاء !

المطبخ يطبخ جميـــع الاصناف والالوان دون أن تمتد يد واحدة الى أى صنف من أصناف الطعام • حجرة العمليات كأنها متحف ، وهى لحلاوة منظرها تفتح النفس لعمل العملية حتى ولو كان ليس هنـــاك أى حاجة لها ! وأمام المستشفى حديقة ولا حدائق قصر فرساى ، منسقة ومنمقة وكأنها معدة لاستقبال ملك بلاد الارجوان •• والغريب أن الحديقة ليست ممنوعة على أحد : كل الناس تستطيع الفرجة ، وكل الناس تستطيع شم الهواء والنسيم فى حديقة المستشفى اياه !

وعندما مددت يدى أودع البنت الحلوة قلت لها على طريقة أبطال السيما : هكذا نفترق دون قبلة • وكأننا غريمـــان نتبارز بالسلاح ! وقالت البنت وعيناها مغلقتان كأنها تحلم: أيهـــا المصرى الغـــريب أنا أود لو قبلتك ، ولكن ليس فى العمـــل ، نحن هنا لدينـــا وقت للعمل ووقت للـــدلع !

فلنتصافح بقوة ، ولنفترق فى جـو رسمى وكأننا غريمان نتبارز بالسلاح • واحترمت مواعيد العمل وطبعت على يدها قبلة ، وقلت لها باى أيتها المرأة الجميلة ولا كل النساء !

وتصوروا • لو كانت المضروبة ممرضـة فى القصر العينى لخلعت المريلة وطارت خلفى ربما الى المطار !

ما الذى جعلنا نشط هكذا وكنا نتحدث عن هالة •• آه فلنعد الى هالة والى الالف جنيه ، والى المزاد !

ها أنذا معروض أمامكم للبيع • أبيع انتاجى الادبى كله فى مستقبل حياتى بألف جنيه • ومسـتعد أن أنتقل مع الذى يشترينى الى شقته • أسامره وأضاحكه ، وألاطفه ، وأكتب له المقالات والقصص وبرامج الاذاعة والمسرحيات •

وهى فرصة والله العظيم لا يمكن أن تعوض • فرصة شراء عبقرى ، وربطه من عنقه فى سلسلة وجره وراء ظهوركم فى أمسيات الصيف الجميـلة على شاطىء الكورنيش ، وفى أيام الشتاء الدافئة حول الجزيرة •

والمعاينة يوميا فى دار روز اليوسف بشرط أن يثبت الذى يريد أن يعاين أنه قادر على دفع الالف جنيه اذا راق العبقرى فى نظره • المخابرة مع الدلال لويس جريس • والمفلسـون والسماسرة يمتنعون !

ويوجـد مع العبقرى مجموعة من النجف الكريستال ، ومكاتب ايديال ، وخلاط جـديد ، وسـيارة فولكس فاجن ربع عمر !

لا رماكم الله فى مزاد مثل هذا •• آمين يارب العـالمين •



• قالت وهى تكشر عن انيابها
اما ان تحضر معى الى الملوكاندة ،
واما ! .

أحياكم المولى إلى كل عام



فكرت أن أكتب كتابا عن الصيف ، فأنا أعرف من مباهج الصيف أكثر مما يعرف أغاخان ٠٠ السبب أن أغاخان يعرف وجها واحدا من وجوه الصيف وأنا أعرف وجه الصيف وأعرف أيضا قفاه ! ذلك ان الحياة اتاحت للعبد الله فرصة لم تتحها لاحد من قبل ولا اعتقد انها ستتاح لاحد من بعد ٠٠ فرصة اختبار الصيف والتصييف من أول التشليح والجرى وراء الرشاشة الى إلخلع ملطا والبلبطة فى مياه المحيط الاطلنطى !

والله يرحم ايام زمان ، يوم كانت أداة التصييف الوحيدة هى الرشاشة ٠ وكانت تحضر الى شارعنا مرة واحدة كل عصرية ٠٠ فاذا جاءت هجمنا عليها هجمة رجل واحد ودرنا معها حيث دارت فاذا انتهت مهمتها وذهبت أصبحنا بفضل الله مبلولين مبسوطين ٠٠ اخوانا !

وعندما أدركنا الثالثة عشرة ، وأصبح التشليح عيب وأصبح رجل الرشاشة اكثر عصبية واكثر بلطجه ، فلايظهر الا مرة كل أسبوع ٠٠ واذا ظهر فليس معه ماء يكفى للرش والاستحمام ٠٠ اتجهنا الى نهر النيل ٠٠ نخلع ملابسنا ونكومها ويجلس أحدنا عندها حارسا يترقب ٠٠ فنستحم ثم ننام على الشاطىء نستجم ، ثم نعود آخر النهار حاجة السطة ولا جريتا جاربو عند عودتها من شاطىء الكوت دازور ! ٠

ولكن الحظ النحس خطف أحدنا الى الاعماق ولم يخرج الا جثة ! وزعق الولد المسكين يستنجد ولا مغيث ٠٠ وكان عند

الشاطىء مراكبى حشاش ، استغثنا به فلم يتحرك ٠٠ ولما صرخنا نطلب النجدة من غيره قذفنا بالطوب ثم جلس يتفرج شديد النشوة على الصبى الذى يجرفه الموج أمام عينيه ويموت

ومن يومها لم نقترب من النهر ابدا ٠٠ واخترنا بركة فى شارع الهرم فيها من الطين أكثر مما فيها من الماء ، ولكنها كانت أكثر أمانا وأكثر هدوءا فلم يكن يتردد عليها لداعى الاستحمام الا حضراتنا وعدد لا بأس به من الكلاب ٠

ولكن حدث ذات مرة ماجعلنا نهرب منها فلا نعود ! كان أحدنا يغطس فى الطين حين عثر على جسم طرى فصاح كالمجنون سمكة وانطلقنا كالقذائف نحو السمكة وتعاونا على جذبها الى الشاطىء ٠٠ وعندما أصبحت السمكة على البر ٠٠ اكتشفنا انها جثة شديدة التعفن كالحة السواد ٠٠ وخرجنا من البركة صارخين عريانين وقطعنا شارع الهرم فى هذا الموكب العجيب فميدان الجيزة فشوارع الجيزة حتى منازلنا ٠٠ وكانت هذه الجثة هى المفتاح الذى أدى الى اكتشاف سر بحيرة الطين !

فعندما جاء البوليس وجاء بنا أيضا اكتشف أن الجثة لعسكرى افريقى مات مطعونا بألف طعنه قبل أن يستقر فى الطين !

ورجح البوليس أن يكون فى البحيرة جثة أخرى فأمر بتجفيف البحيرة ، وبعد ساعة تمت عملية التجفيف ، واكتشف البوليس أن فى البحيرة ٧٢ جثة كلها لعساكر انجليز وأمريكان ، وطريقة القتل واحدة ٠٠ مما يثبت أن الجانى واحد فى كل الحالات ٠

ولست أعرف ما الذى جرى بعد ذلك ٠٠ كل ما هناك اننا تقوقعنا فى الحارة نسهر ليالى الصيف على عتبة أحد المصانع ٠ ولكن منظر الجثث المدهونة بالطين لم تفارق خيالى أبدا ٠٠ ومضت سنوات طويلة وأنا لا أستطيع المرور فى شارع الهرم فى الليل خوفا من العسكرى الافريقى القتيل الذى سحبته بأصابعى حتى الشاطىء ٠

وتطورنا بعد ذلك فعدنا الى النيل ولكن فى مراكب ، مراكب شراعية جبارة تطوف بنا الجزيرة فى ليالى الصيف

وأشهد بالله العظيم وأنا الذى قضيت الصيف فى سـان سباستيان وعلى شاطىء بحيرةليمان وفىالريفيرا وعلى المحيط الاطلسى .. اننى لم أعثر حتى هذه اللحظة على منظر أحسن وأجمل وأجدع من منظر الجزيرة فى الليل وانت على مركب وفى المركب أشياء لا داعى لذكرها الآن !

ولكن لماذا كل هذه المقدمة الطويلة البايخـة عن تاريخ حضرتى فى الصيف ؟ لأثبت لكم أننى دكتور فى الصيف ! ولا تبتسم لهذا اللقب الذى أطلقه على نفسى ، فكم مندكتور عندنا فى الصيف وفى الشتاء وفى الحلويات وفى العادات فى مجتمع يأجوج وأشياء كثيرة من هذا النوع مضحكه ومبكية على رأى أخونا الشاعر العربى الذى مات منذ ألف عام .. أبو الطيب المتنبى !

الغرض ايها الاخوان اننى ذهبت الى الريفيرا وكنت أتخليها لفرط جهلى حدائق غناء ونسوان عرايا سبحانالخلاق ،ورجال وجهاء الله عليهم ! وقصص حب تدور بينهم على انغام الموسيقى وتحت الاضواء .. تماماكما رأيتها منقبل على شاشةالسينما وهذا هو تأثير هوليود على عقول الناس !

ولكن عندما هبطت الريفيرا فجعت . النسوان فى حجم سيد قشطة ، والرجال عبروا الخمسين بزمان .. حكمة الله أن الاغنياء فقط فى الريفيرا ، وحكمة الله أن الاغنياء عواجيز ووحشين ويقرفوا الكلب الجربان .

أين الشباب اذن ؟ أين البنات اللاتى كالورود ؟ والرجال الذين كالحـراب ؟ . حكمة الله أن آللاتى واللائى غارقون فى الشـغل .. فهذا زمن الشـغل ، وكل همهم هو التحويش والتدبيق ليصـبحوا أغنياء وعندما يبلغون مرامهم فى الثراء يهرعون الى الريفيرا .. ولكن بعد فوات الاوان . يكون الشاب قد أصبح شيخا فى الستين والمرأة أصبحت مثل سيد قشطه حكمة الله كما قلت ، ولن نجد لحكمة الله تبديلا ! .

ولكن كذاب أنا اذا قلت لـكم ان الجميع كانوا عواجيز . كان هناك بعضهن ، مايوه الواحدة منهن فى حجم مشـط الكبريت .. وكل شىء ظاهر وواضح وعـلى عينك ياتاجر ،

وبحلقت عيونى كالمعتوه أتفرج ، سبحان الله أجســام النساء فن ولا فن الموسيقى ٠٠ والســـت الحلوة تعرف انها حلوة فتمشي تتلولو كاليويو ٠٠ ليس فى السيقان خدشـــة ولا لطشة ولا هبشة ٠٠ على بعضها اثار قرصة ، زرقة خفيفة كزرقة السماء وعلى بعض الاجسام آثار عضة ، الاسنان ليست مغروزة والقطعة المعضوضة ليست منهوشة ، ولكنها مختومة فقط ، كأنها لحمة بتلو خارجه من عند دكتور السلخانة ٠٠ كل ماهناك آثار أسنان فى شكل دائرة ٠٠ كأنك ضغطت على اللحم المشدود بغطا كازوزه ! وأنا الافريقى الغلبان أشــعر بالنار تسرى فى جسمى ٠ فأنظر كالأبله نحو الست من دول وأمسح بكفى على شعرى ٠٠ حركة سلام للست اياها ولكن الست تمضى ولا اهتمام !

التقل صنعة مع الستات فى الريفييرا ، والنحس دكر مع العبد لله حتى فى أوروبا ٠ وهاأنذا أشير بالسلام والست لا تجيب ٠ منظرى لايعجبها بنت الهرمة ، مع ان أفلام هوليود تقول أن السمارعلى شاطىء الريفيرا له سوق ولاسوق العبيد ! وقلت لولد هولندى كان يتمرغ الى جوارى على رمل الشاطىء لماذا هن باردات هكذا هذه النساء ؟ وحكيت له قصة السلام المتجنب والاعراض السافر ، فضحك الواد حتى استلقى على قفاه ٠ وقال الولد الهولندى ابن أوروبا المدرب ، هنا لا يوجد سلام من هذا النوع ٠ اذا أبصرتك امرأة تفعـــل هذا الشىء فستظن أن بك صداعا حادا ، أو ان فى رأسك قملة ٠ ولذلك فأنت دائم الهرشان ! اذا أردت أن تعاكس واحدة منهن فتكلم معها على الفور ٠ فالكلام هنا هو وسيلة التعارف واللقاء ٠ أما طريقتك أيها الافريقى المسكين فهى تصلح وسيلة للحب فى مستعمرة للخرس والبكم وعباد الله المساكين !

ولكن افرض تكلمت مع المـــرأة فهزأتنى ، فضربتنى ، فلكشتنى ، فركلتنى ، ماذا أقول ؟ ماذا أصنع ؟ ماذا يحدث أيها الهولندى الصغير ؟

لن يضربك أحد ، لن يلكشك أحد ، وواحدة من اثنتين اما تقبل ، واما تعتذر ، وبمنتهى الادب فى الحالتين !

وتشجعت على الذى لا يخاف ومرت من أمامى غزالة جلدها كالاستك ، وقلت فى وجهها هالو ، ونظرت نحوى وضحكت وقالت هالو ، ثم ذهبت وكان الله يحب المحسنين !

وقال الولد الهولندى لا تقف عند حد هالو ، قل للست الحلوة تعالى هنا ، اجلسى بجانبى ، واذا جلست تحسس جلدها بيدك ، واسألها أن تسهر معك ٠٠ أن ترقص معك ٠٠ أن تأكل معك ٠

وقلت لا ، كل شىء الا هذا ٠ أنا لازلت أذكر فى شبابى امرأة حلوة فى شارع فى القاهرة كانت تمشى وحدها ٠ واقتربت منها وقلت لها يامساء الجمال ، ونظرت نحوى ولم ترد ، وقلت يا مساء الخير ، ومددت يدى نحوها أصافحها مصافحة الجنتلمان ، واذا بالمرأة المجنونة تهبدنى بالشنطة على وجهى ، وكانت هبدة قوية اغتظت منها فهبدتها بكفى على وجهها ، فصرخت واستغاثت وقالت ٠٠ حرامى يادهوتى ، فجريت وجرى الناس خلفى ولو أمسكوا بالعبد لله لكانت مصيبة !

ولكن الولد الهولندى شجعنى ، قال لا تخف ، سأكون الى جوارك ، ولن يحدث لك شىء من هذا ٠ وجاءت بنت حلوة كالقمر الدين ، وقلت هالو ، قالت هالو ، قلت اتفضلى يا أختى ، وتفضلت أختى وجلست ، قلت أنت حلوة ٠ قالت متشكرة ٠ قلت هل تجلسى معى ، قالت نعم قلت هل ترقصى معى ، قالت هنا ؟! قلت لافى الليل ٠٠ ! قالت آسفة فأنا هنا مع خطيبى نلهو على الشاطىء فى النهار ، ونرقص فى علب الليل ٠٠٠ بالليل ٠ قلت وخطيبك هنا الآن ، قالت نعم ، وتزحزت من مكانى قليلا ، وقلت لها ٠٠ أهلا وسهلا ، قالت أهلا وسهلا ، قلت سلامات ، قالت سلامات وقلت ياميت مراحب ، قالت ياألف مرحب ٠

وشخط ثور من خلفى ٠٠ روزانا ٠٠ وقالت البنت التى تجلس معى ، نعم ٠ أين أنت ياروزانا ؟ أنا هنا ، وجاء الثور يتبختر وسلم علينا وجلس وقالت خطيبى ، وقلت يا ألطاف الله ، نجنا مما نخاف ! وبعد السلامات والتحيات ، قال حضرة خطيبها أنا ذاهب ياروزانا ٠ وقالت روزانا ٠٠٠ مع السلامة

سأجلس مع هـــذا السـيد ساعة ثم أحضر · وجلست مع حضرتي ساعة بالكمال والتمام ، ولم يخرج حديثي عن دائرة أهلا وسهلا وازيك ، سلامات ، ياميت مرحب ، يا ألف تلتميت مرحب !!

وعندما ذهبت حمدت الله الذي جعل العواقب سليمة · لو كنا في شبرا مثلا وجلست معنا الست روزانا وجاء خطيبها ووجدها معي ، لفتح بطني وربما نمت بقية حياتي على السرير في مســتشفى القصر العيني ، ونام حضرته على بلاط زنزانة في ليمان أبو زعبل !

وثلاثة أيام بعد ذلك قضـــيتها في الريفيرا لم أجرؤ على الحديث مع واحـــدة من الستات لان الولد الهولندي اللعين تركني وحدي وطار ·· ولكن آخر يوم حدث المستحيل ···

كنت ممددا على الشاطىء بمايوه أزرق سماوي ليس تحته سوى عصاعيص ولا عصاعيص أم ســحلول ، وفجأة اكتشــفت أن أصابع طويلة تلعب في شعري وتعبث في جلدة شعري ·· وظننت أن أحدا من الناس الطيبين قد توسم في شعري قملا فراح يفليني ·· وانبسطت لهذا الخاطر ومددت يدي أبحث بجواري عن بلاطة تصــلح لاغتيال القمل عليها ·· ولـــكن صاحب الاصــــابع صرخ عندما أمســـكت بالبلاطة في يدي فنهضت مذعورا واكتشفت أن الذي يعبث بشعري امرأة وليس رجــلا ·· وانها لم تكن تجمع القمل من رأسي ولكنها كانت متيمة بالعبد لله تتحسس شعري الاكرت لانه مدهش ومثــير وجميل على حد تعبير الســـيدة الفرنســية ! وقالت الست لحضرتنا وهي تتأوه ، لماذا أمسكت بالبلاطه ·· هل كنت تنوي قتلي ؟ وأقسمت لها بالله العظيم أنني لم أكن أضـــمر لها شرا وأن البــلاطة كانت لقتل القمل وليس لاحــداث أي نوع من أنواع الاذى لحضرتها ·· واطمأنت المرأة لي وفتحت نفســها وقلبها · وقالت أيها الاسمر الجميل هل ترقص معي ؟ قلت نعم قالت هل تتعشى معي قلت الله يخليكي أيتها الست الطيبة، مادام عندك عشاء فلاداعي للرقص ·· خصوصا وأن الرقص متعب ولا يفيد ولا يملأ المعدة !

وقالت المرأة ، عال أتفقنا ، ستسهر عندى الليلة ونتعشى معا ، ونقيم معا حتى الصباح نرنو الى الامواج والسحاب من خلال نافذتى .

وذهبت مع السيدة فى الليل الى فيلا أنيقة على الريفيرا ، وكانت ترتدى مايوه داخل شقتها ، مايوه من نصف قطعة .. وكانت تغنى أغنية لطيفة وظريفة .. قالوا لى لا تذكريه ، ولكن مستحيل . فهذا ليس جرحهم ، انه جرحى ! ورحبت بنا المرأة المجروحة ، وقدمت لنا العشاء ، فراخ بالصلصه البيضة ، وعيش أسود . والعيش الاسود هناك أغلى من العيش الابيض . وسلاطة نيس .. سلطة فيها بيض وفيها جرجير وفيها طماطم وفيها زبدة وفيها ويسكى ! وجاء رجل عجوز يحجل قدمته لى .. السنيور مش عارف ايه .. جوزها .

وأهلا جوزها ، سلامات ياجوزها والله وحشتنا ياجوزها .. والرجل يرد على تحياتى فى أدب بالغ ، أهلا صديقها ازيك صديقها .. سلامات صديقها ،مراحب صديقها .. وكانت المرأة الذى هو جوزها والذى أنا صديقها ، تهم على أثناء الاكل وتقبلنى وتزغزغنى ، والسيد جوزها مبسوط من السيد صديقها .. فمادامت الست مبسوطه فهو مبسوط وكانت كلما ضحكت وكلما تشقلبت ، ضحك السيد جوزها وقال لها وهو شديد الانبساط ، كل يوم من ده ياحبيبتى ! ومن ده يقصد منى أنا ! ولما كنت قليل الحيلة ، قليل المروة ، قليل الجهد ، فقد غاص قلبى بين ركبتى . وسألت الله أن يستر على هذه الليلة حتى يأتى الصباح فأجرى جرى غرائب الابل ! .

وجاء منتصف الليل أيها الناس واستأذن السيد جوزها وتركها مع السيد صديقها ، وقالت الست المجروحه عن السيد جوزها .. انه لطيف كما ترى .. كان ضابطا فى جيش فرنسا وكان قائدا فى الفيتنام ، وعندما نشبت الحرب هناك كان أعظم القادة وأعجب القواد ، ولكن جيش الفيتنام حاصره فى مزارع الارز وضربه على قفاه وكسره كما يكسر الرجل الفتى عود قصب على قصبة الساق ، وخسر القائد رجله

وخسر نصفه الاســـفل كله ، وعاد الى الوطن وليس فيه من الرجال الاالشارب الذى أصرعلى ألايحلقه بعد هذاالحادث الملعون !
الغرض أيها الناس شربنا ليلتها حتى ارتوينا ، وأكرمنا الله فأكرمناها • واستيقظت فى الصباح على شفتين تقبلان قدمى وكانت هى المرأة المجروحة تقبل قدمى بالفعـل ، وفى يدها صينية عليها كل خيرات الله ، لحم بالبيض ، لبن ســـاخن ، شاى بالحليب ، كل انواع الجبن والزيتـــون والعيش الفينو الطازج وعلبة سجاير عشرين كرافن ، وأكلت وولعت ودخنت وانبسطت ، وبعد ذلك جاءت وأمسكت بيدى وقبلتها ، وقالت أنا أدعوك أيها الرجل الظريف لقضاء أســـبوع هنا ، وقلت مستحيل أيتها الست الكريمة ، فأنا الشر بره وبعيد مسافر فى مهمة ، ولابد أن اكون فى ألمانيا غدا صباحا انشاء المولى! وقالت أى شىء من ألمانيا تريده سأحضره لك معنا ، اذا كنت تريد أن أحضر لك مدينة من ألمانيا فثق انها ستكون عندك بعد ساعات ، اننى أملك كل شىء ، النفوذ والنقود ، وعليـك أن تطلب وعلى ان أجيب •

واستنجدت المرأة بالسيد جوزها فجاء هو الآخـر وربت على كتفى فى حنان وقال ياسنيور سعدنى انت مشكور عـلى الجهد الذى بذلته فى الليلة الماضية ، أنا أرجوك ، أتوسل اليك، أستحلفك بالمولى العزيز الجبار أن تبقى معنا أسبوعا فالست مبسوطة ، وكلما كانت مبسوطة ، كانت أعصابها حسنة ، وكلما كانت أعصابها حسنة ، فأنا هادىء ومبسوط !

وحكيت للرجل حـــكايتى مرة أخرى ، وزعمت أننى لابد أن أكون فى ألمانيا غدا صباحا ، فأنا رجل مهم ، ومهمتى أن أكون فى ألمانيا ، وأشهد الله ان الرجل الفرنســاوى لو كان سألنى ، أية مهمة لك فى ألمانيا لتلعثمت وتأوأوت ولضربت معى لخمة ولا لخمة خالتى عندما تسير وحدها فى شارع فؤاد

المهم انهم عتقونى لوجه الله ، وتركونى أذهب بشرط أن أعود اليهم بعد ذلك ، وذهبت الى ألمانيا ولا أى مهمة لى هناك ، أنا هربت فقط من السيدة المجروحة وجوزها المبسوط حتى لا أنكشف • فلقد ستر الله معى ليلة وليس معقولا أن يســـتر معى على طول وفى الامثال أن البطل هو الذى يعرف متى يختفى

من فوق المسرح وأنا بطل ولاشك ، فلو انني قضيت الليلة الثانية عندها لاصبحت كومبارسا يعون الله ، ولظلت تضرب في حضرتنا بالمقشة ، ومن يدرى ، فلربما توفانا الله ! الحمد لله اذن اننا هربنا ، والحمد لله اذن اننا ذهبنا الى ألمانيا ، ففي آخر يوم في ألمانيا قال لى سلامة مندوب أخبار اليوم : مارأيك في فسحة في مكان بعيد عن العاصمة ، مكان اسـمه أولتن أر ، وأر هو اسم نهر وأولتن يعني قديم ، والمكان أسـمه بالعربي ٩١ر القديم ، وقلت له هيا بنا وفي عربة فولكس فاجن جديدة لنج زحفنا في الليل الى حدود ألمانيا الى الأولتين آر !

قريـة صـغيرة وجميلـة ولـذيذة وعـلى سـفح جبـل عظيـم ، والقـرية كلهـا تزرع عنبـا ومن العنب تصـنع نبيـذا لا أقـول فـاخرا فليس في ألمانيـا كلهـا نبيـذ فاخر عـلى الاطلاق • وهي فرصة لنا لو اسـتخدمناها لربحنا كثيرا أيها الناس ، فعندنا نبيذ أحسن من نبيذ ألمانيا ونستطيع ان نصدر لالمانيا نبيذ وبالعملة الصعبة ، المهم أن قرية أولتين أر الالمانية تصنع النبيذ الطازج ويدخـل الزبائن الكرام أمثالى في كهوف في بطن الجبل يشربون حتى يسقطون من شدة الاعياء ، ويدفعون عدة ماركات ألمانى لاأذكـر الآن عددها ! ودخلنا كهفا ، أول كهف صادفنا على الطريق ومن أول نظرة داخل الكهف اكتشفت أن كل من في الكهف ستات ، ستات أعوذ بالله على هذا الصنف من الستات ! واكتشفت شـيئا آخر ، كلهن من هولنـدا والقرية عـلى حـدود هولندا وبينها وبين الحدود عشرة كيلو مترات ، وتصدرت مائدة وجلسنا ، ونظرت نحـوى واحـدة منهن ، وفشخت فمهـا عن ابتسامة وأحسست انى أكاد أطير من على الكرسى زهوا وفخرا وسرورا الى آخر هذا الطراز من الكلام ! فهأنذا معبود النساء في كل مكان أهبط فيه ، وهذه المرأة التى تفشخ فمهـا لى وتضحك لا بأس بها ، فهى في الخمسين فقط ، وهى أصغر الحاضرات •• وهى انحفهن أيضا فلا يزيد وزنها عن ثلاثة أطنان ، ولم تقف المسألة عند حد الابتسام ، نهضت المرأة من مكانها ودعتنى الى الرقص على انغام موسيقى صاخبـة

عربيدة لاتصلح للرقص ولكنها تصلح للهراش والفراش ! وكانت المرأة عبيه وسديمه وجسمها ناصح كما تقول امى عن هذا الصنف السليم من النساء ! وعكمتنى عكمة الكلب وهات يارقص ومن جميع الاصناف .. فالسات ترقص ، سامبات ترقص ، رومبات ترقص ، كاريوكات ترقص ، بالموسيقى ترقص ، فى الاستراحه ترقص . وأنا كنت أرقص معها فى بدايه الامر ، ولكن عندما طال الامر وانقطع قلبى وعاودتنى الكحة اللعينة اكتفيت بالشعبطة فيها ، كما يتشعبط الولد العيان بأمه . وعندما خارت قواى تماما وأصبحت غير صالح للشعبطة تعلقت بها كالعلقة فحملتنى وهات يارقص ، وظلت ترقص وأنا على كتفها دايخ حتى انتصف الليل فرزعتنى على الارض رزعة مهببة قسمت ظهرى وحطمت ضلوعى ، ولم تتركنى وشأنى بل سحبتنى من يدى ،وقالت هيا نسهر معا فى اللوكاندة، ونظرت للمرأة أبكى وأتوسل أن تتركنى وشأنى فأنا غلبان ومسكين وصاحب عيال ! وقالت المرأة بصوت كأنه الرعد ، لماذا اذن رقصت معى ، لماذا فتحت شهيتى على الرجال؟ وقلت لها ليس هذا ذنبى أيتها الست العفية ، فانا أولا لست من الرجال ، وثانيا أنا لم أبتسم لك ، أنا لم أدعك الى الرقص أنا لم أعدك بشىء على الاطلاق .. !

وقالت وهى تكشر عن أنيابها ، يابن سبعين كلب اما أن تحضر معى الى اللوكاندة ، واما أنا فوقك هنا حتى تزهق أنفاسك وتموت من شدة الكتمان ! .

وقلت لها ، سيدتى ، ماذا يجدى أن أذهب معك الآن ،اذا ذهبت معك فلن يكن معك رجلان، واحد لك والآخر للعبد الغلبان!

ولم تفهم شيئا بنت المجنونة ، وسحبتنى بالعافية الى اللوكاندة ، ولم أخرج منها الا محمولا على الاعناق فقد ضربتنى حتى سوتنى وحتى جعلتنى فطيرة تحت الاقدام . وعلمت انها من هولندا ، وانها تحضر مرة كل اسبوع الى أولتن آر لترقص وتغنى وتسحب معها رجلا آخر الليل ، ولكن حظها المهبب أوقعها فى العبد لله ، ولله فى خلقه شئون ، فأنا شكل الرجال ! وركبت الطائرة هاربا من أولتن آر هاربا من ألمانيا كلها الى بلاد تركب الافيال .

أنا راجع من السودان



أنا راجع من السودان ، راجع من عند الاخوة والأحباب ٠ راجع من الخرطوم وأم درمان ٠٠ خمسة عشر يوما ماأحلاها وما اغناها ٠٠ غادرت فيها بلدى الى بلدى ، نزلت فيها اهلى الى أهلى ٠٠ لم أشعر لحظه أننى غريب ٠٠ لم يطف بخيالى برهة أننى فى بلد بعيد ٠٠ أنا وقفت على شاطىء النيل الأزرق أشم رائحة الارض ، اشمها بعمق وبلذة لانها نفس رائحة الارض فى المنوفية ٠٠ نفس الطين ، نفس الالوان ، نفس الاشكال لم تتغير ٠

أنا وقفت على شاطىء النيل الابيض صامتا كأننى أصلى ، لا أدرى لماذا أحببت النيل الابيض أكثر من النيل الأزرق ٠ ربما لانه أكثر طيبة وأكثر غلبا ٠٠ هادىء هدوء الفضاء ٠٠ متسع اتساع القلوب الرحيمة ٠٠ النيل الازرق شرس مناكف له أنين وله زئير ٠٠منحدر مستعجل كأنه فى طريقه الى موعد هام ٠٠ عميق عمق الظلام ٠٠ صاخب صخب الحياة ٠ وعر وعورة الجبال التى انحدر من فوق قممها وما بين النيلين الازرق والابيض يعيش شعب السودان هادىء طيب كما النيل الابيض ٠٠ وعر صعب كما النيل الازرق ٠٠ وآه لو غابت عنك هذه الحقائق وانت تتعامل معه ٠٠ هو طيب مادمت أنت طيب ٠٠ وهو صعب لو حاولت أن تلعب بديلك أو لو خيل اليك لحظة أنه شعب راكد المياه وتستطيع ان تخوض فيه ببساطه ٠٠ هذه النقطة بالذات هى التى جعلت حكام السودان السابقين يدفعون الثمن ٠٠ هى التى القت بهم

الى أحراش زالنجى بعد السلطة والابهة ! بعد ست سنوات من الحكم العسكرى ظنوا أن الشعب قد مات ٠٠ كل شىء ممنوع وكل شىء حرام ٠٠ الاجتماع ممنوع الكلام ممنوع ٠٠ اللقاء ممنوع ٠ التليفون تحت الرقابة ٠٠ الصحف تسبح كل صباح بحمد المستوظفين ٠ الهجوم على فراش مطار الخرطوم ممنوع لان المطار تبع وزارة المواصلات ٠٠ ووزارة المواصلات تبع الحكومة ٠٠والحكومة فوق النقد وفوق الشعب وفوق كل شىء ! والهجوم على جرسون الفندق الكبير ممنوع لان الفندق تبع مصلحة السياحة ، ومصلحة السياحة تبع وزارة ماعرفش ايه ، ووزارة ماعرفش ايه تبع الحكومة ٠٠ والحكومة مظبوطة ومتينة أربعة وعشرين قيراط والهجوم عليها رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه يا اولى الأقلام ! ولكن لماذا لم تسمح الحكومة هناك بالنقد ٠٠لانها لم تكن حكومة ولكنها كانت عصابة ، ولانها كانت عصابة فلم يكن لها برنامج ولكن لها خط سير غاية فى السرية ويتغير حسب الظروف والاحوال ، ولم يكن لهذه العصابة أنصار ولكن كان لها أصدقاء ، ولم يكن أفراد الشعب السودانى رعاياها ولكنهم كانوا ضحاياها ٠ ولذلك لم يقم هناك برلمان ولا تنظيم سياسى ولا حتى كان فى الامكان عقد اجتماع يضم خمسة اشخاص ٠٠ لان أى تجمع معناه الانقضاض على العصابة وضربها فى المليان ! وكان الشعب السودانى يبدو فى الظاهر ساكتا يتفرج ٠٠ تماما مثل النيل الابيض يتهادى نحو الشمال مخضوضرا معشوشبا فى هدوء لايعكره اى صوت ! وانبسط حسن بشيرغاية الانبساط وتربع على دست الحكم وتمنجه ٠٠ وعندما لمح بادرة شر فى الجيش عام ١٩٥٨ قمعها بقسوة ، وعلق خمسة من زهرة شباب الجيش فى المشانق ونكل بالآخرين ولقنهم درسا لا ينسى ٠٠ بل صنع ماهو أغرب من ذلك وأدهى ، أوقف ترقيات الضباط عامين وفتح باب الترقية من تحت السلاح ، وتحول أربعون صولا الى ضباط كانوا عيونه فى كل الاسلحة وأعوانه عندأول نداء ! وران على السودان بعد ذلك صمت عميق ٠٠ فلا همس ولا حركة ولا حتى صراخ طفل رضيع ٠٠ واعتصم كل فرد من أفراد العصابة بوزارة واحتمى داخلها ٠٠ ثم تعلقوا جميعا

بعضهم ببعض في مجلس عسكرى أعلى ، جلساته سرية وقراراته سرية ومناقشاته ليس لها وجود لان حسن بشير كان يناقش حسن بشير ٠٠ ولا شيء غير ذلك !

ولقد كان شعب السودان على استعداد لان ينسى ويصفح لو انهم خرجوا من مغاراتهم ليصنعوا شيئا للسودان ، وكانت هناك ــ والحق يقال ــ فرصة كبيرة للعمل ٠ بلد عذراء لم تمس ، وأراضى شاسعة جرداء يكاد طينها يثمر ولو لم يمسسه فأس ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ٠٠ لان العصابة لم يكن لها برنامج ولم يكن فى نيتها أن تعمل الا فى سبيل هدف واحد هو البقاء فى الحكم !

شيء واحد فقط صنعوه ٠٠ خرج حسن بشير من عزلته وانتزاع ارض حلفاية الملوك على بعد خمسة عشر كيلو متر من الخرطوم وبنى عليها قصرا وحديقة ومزرعة واسطبلا للخيول وحتى لا يشعر بالوحدة منح كل واحد من أصدقائه قصرا ومزرعة ٠ وأصبحت حلفاية الملوك جنه يجرى من فوقها الاسفلت ! وعندما نشبت الثورة ضد حسن بشير وعصابته كانت بواجير الزلط تهدر فى حلفاية الملوك لتمهيد طريق يربط بين قصر حسن بشير والطريق العام ! مرة أخرى تحركوا نحو البناء والتعمير عندما سمحوا للمحاسيب والاصدقاء وسمار الليالى الحمراء أن يقيموا بيوتا على امتداد الخرطوم ٠ وقامت فعلا مدينة عظيمة استخدم فيها أسمنت يكفى السد العالى وأخشاب تكفى لصنع مليون سفينة كسفينة نوح تتسع لشعب السودان كله لينجو من طوفان الحكم العسكرى ٠٠ ثم ظلت المدينة بلا سكان لان الخرطوم لم تكن فى حاجة الى مساكن ولكنها كانت فى حاجة الى مصنع أو حتى شبكة مجارى أو حتى مطار جديد !

وزحفت المومسات القادمات من الحبشة الى الامتداد تسكنه بدلا من ان تسكنه الغربان واليوم ! واصبح الامتداد للمزاج والانبساط وقعدات قاضى القضاة أبو زنات !

لم تنشب الثورة اذن يوم ٢١ اكتوبر ٠٠ ولكنها اندلعت قبل ذلك بكثير ٠٠ ولكنها اندلعت على مهل ، وسرت فى نهر

الشعب الهادىء كما يسرى تمساح عجوز تحت صفحة مياه النيل الابيض الرائق ٠٠ وظلت تشتعل فى هدوء وعلى مهل حتى استوت تماما !

وعندما انفجرت يوم ٢١ اكتوبر لم يكن على وجه الارض قوة تستطيع وقفها ٠٠ حتى حسن بشير جبار العهد البائد والذى خرج ثائرا من اجتماع المجلس العسكرى شاهرا مسدسه ومقسما بأغلظ الايمان ان يقضى على الثورة أو يقضى على نفسه ٠٠ حتى حسن بشير اضطر بعد أن خرج الى الشارع الى ان يضع مسدسه فى جيبه وان ينسحب فى هدوء الى بيته وظل هناك حتى سحبوه فى الفجر الى زالنجى ليقضى بقية أيامه ٠

الثورة اذن لم تندلع يوم ٢١ أكتوبر ولكنها اندلعت قبل ذلك التاريخ بزمان ! ولكن فى ذلك اليوم التاريخي الحاسم كان كل شيء قد نضج وكل شيء معد ولم يبق الا أن يوجد سبب ـ أى سبب ـ لتنفجر الصدور بالنار التى تحرقها وينهار العهد الذى ظل ست سنوات يحكم السودان ويده دائما على الزناد ٠

ولكنه لم يستخدم الزناد أبدا ٠ لا ضد اعدائه ، ولا لمصلحة طبقة ولا من أجل مجموع الشعب ٠٠ وانما لمجرد تخويف الجميع ، أسلوب عصابة لصوص فى مغارة من مغارات الجبل الغربى ٠٠ أى شبح يتحرك نحوها تطلق عليه النار دون أن تكلف نفسها عناء السؤال عمن يكون القادم !

ولذلك كان الذى حدث يوم ٢١ أكتوبر ٠٠ أغرب مما حدث خلال السنوات الست كلها ٠٠ ففى الساعة الثالثة الا الربع كان كل شيء فى الخرطوم يمضى فى الطريق الذى رسموه له ٠٠ الطريق من الخرطوم الى أم درمان يئن بطابور السيارات التى تقل الموظفين الى بيوتهم ٠٠ وخمسة سياح من ألمانيا يحتسون القهوة فى شرفة الجراند اوتيل وبيوت « كوريا » تستيقظ من نومها وتتثاءب فى انتظار الفرج ، ومطار الخرطوم ينتظر وصول طائرة قادمة من وراء البحار ، كل شيء عال اذن وكل شيء على ما يرام ٠٠ ولكن ثمة أشياء هايفه

تقلق راحة رجال الامن ٠٠ الشيء الاول مباراة فى كرة القدم
بين نادى الاهلى قادما من القاهرة ضد نادى الهلال السودانى !
والشيء الآخر ندوة نظمها بعض الطلبة لمناقشة مشكلة جنوب
السودان ! وبما آن رجال الامن المدربين على حفظ النظام يهتمون
دائما بالأخطر فالخطر ، فقد اهتم معالى وزير الخارجية بمباراة الاهلى
والهلال ٠٠ ورفع معاليه سماعه التليفون واتصل بمدير
البوليس وأمره باتخاذ كل الاجراءات لحفظ النظام داخل
استاد الهلال وخارجه ٠٠ وتطويق الملعب من الداخل بقوات كافية
من رجال البوليس حتى لا يستبد الحماس بالمتفرجين فيعتدون
على اللعيبة الضيوف أو يحدث منهم ما يعكر جلال المناسبة
المباركة ! آه ٠٠ ثم تذكر وزير الداخلية فى النهاية موضوع
الندوة فأمر فى عبارة حاسمة ان يمنع عقد الندوة ولو أدى الامر
الى استخدام القوة ! عندئذ كان وزير الداخلية قد انتهى من
أداء واجبه ، ونشط مدير البوليس فى تنفيذ تعليمات معالى
الوزير ٠٠ وكانت الساعة الثالثة حينما توجه عشرون من
رجال البوليس الى مكان الندوه لمنع عقدها ٠٠ وكان الطلاب
« وبعض المندسين » قد أخذوا يتوافدون على مكان الندوة
ولكنهم فوجئوا برجال البوليس يطوقون المكان كله ويأمرونهم
بالانصراف ٠٠ وكان الأمر فيه غلظة فاحتج بعض الطلاب ٠٠
ولكن هذا الاحتجاج البسيط أفقد قائد القوة حسن التصرف
اذ كيف يحتج الناس على أى شيء وهو الذى تعود من الناس
حسن السمع والطاعة ست سنوات طوال ؟ وكاى روميل فى
اى معركة فى الصحراء أمر الضابط رجاله بسحق الطلبة ٠٠
وبدأت المعركة فعلا ولكنها انجلت عن مفاجأة لم تكن فى الحسبان ٠
لم تستطع هراوات البوليس الغليظة ان تجبر الطلبة على
الانسحاب ٠٠ العكس هو الذى حدث ٠٠ صمد الطلبة وانسحب
رجال البوليس ٠٠ ولم يلبثوا أن انسحبوا بشدة أمام الطوفان
الذى اندلق عليهم كما السحاب المنهمر ٠٠ الى هنا والامر عادى
يحدث مثله كل يوم ٠٠ وكل ساعة ٠٠ ولكن لانه حدث فى
السودان وبعد ست سنوات طويلة مريرة غبية كما وحيد
القرن ، فكان حتما أن يتطور الامر الى ماحدث ٠٠ اتصل مدير
البوليس بوزير الداخلية يطلب اذنا بوضع حد « للعبث »

وأيضا ·· لينتقم لشرفه وشرف عساكره الذين هربوا تحت طلقات الطوب ·· وبدون أى تفكير فى العواقب منحه وزير الداخلية الامر وفوضه أن يصنع مايشاء حتى استعمال الرصاص اذا اقتضى الامر · وكان الامر يقتضى فى رأى الضابط الهمام اطلاق الرصاص والمدافع والقنابل الدريه كذلك ·· وفعلا ·· انطلقت رصاصه اخترقت قلب الطالب القرشى فمات على الفور، وعندما مات كانت الشمس تتحرك فى تثاقل وسط السماء مائلة بزاوية نحو الغرب ، وكان كل شىء فى الخرطوم لا يزال كما كان ·· المطـار فى انتظار الطيارة ، وسـوق أم درمان عامر بالبضائع عامر بالزبائن · والسياح الالمان نهضوا من مقاعدهم يساومون بائع جلد التمســاح وريش النعام ·· ومعالى وزير الخارجية نائم يتمطع فى بيته ·· وحسن بشير فيلســوف النظام وجباره فى حلفايه الملوك يتفقد خيوله ويعاين اسطبلاته واسمحوا لى ·· الوصـف مشوق ولذيذ ولـكن لن اسـتطرد أكثر من ذلك ·· ففى اللحظة التى اندبت فيها الرصاصة فى قلب الشهيد القرشى كانت الشمس تتحرك فى تثاقل فى كبد السماء مائلة بزاوية نحو الغرب ·· فى هذه اللحظة أيضـا تقرر مصير العهد الذى كان قائما حاكما بأمره فى السودان !

ولكن هل قامت الثورة لهذا السبب ؟ لا ! · هل قامت تلك اللحظة ؟ برضه لا الثورة قامت منذ خمس سـنوات ، ولكنها انتهت الان ·· انتهت بالقضاء على النظام الذى قامت ضده

ها هى الحكاية ببساطه فى الســودان ·· حكومة لا تمثل شعب السودان ·· وليست حكومة بعض العائلاتفى السوادن ولا هى حكومة بعض الافراد فى الســودان ، ولا هى حـكومة بعض الطبقات فى السودان ، ولكنها حكومة السودان · ولذلك عندما وقعت فى المأزق لم يهب للدفاعءنها الا سبعة ·· انتهى مصيرهم الى زالنجى فى الجنوب وسط الاحراش والمستنقعات !

اسمحوا لى ايها الاصدقاء أنا لا أريد أن أكتب عن ثـورة السودان ·· فقد كتب عنها العشرات فى مصر وفى كل البلاد فقط أردت أن أقول ان الله يسبب الاسباب ·· وأن الثورة لو لم تنشـب يوم ٢١ أكتوبر لـكان حتما أن تنشـب يوم ٢١ نوفمبر او يوم ٢١ ديسمبر أو أى ٢١ فى أى شهر فى أى عام

ولكن هكذا أراد الله وكانت الثورة فاتحة خير على شعب السودان وفاتحة خير على العبد لله فقد سافرت الى السودان ! وأنا طول عمرى احلم بزيارة السودان وطول عمرى اتحرق شوقا للرؤياها فما من مصرى زار السودان الا وعاد شاعرا يدبج قصائد المدح في شعب السودان . مامن مصرى سافر الى السودان الا وعاد عاشقا كالاخ روميو يتغزل فى السودان وفى أهل السودان .. تمنيت على الله من زمان أن أنام عـلى العنجريب .. وأن آكل الكسرة والملاح وأن أجلس فى المحرن وأدلدل قدمى فى ميـاه النيل الباردة العميقة واتسلى بمنظر الغروب خلف أم درمان ! وعند العوده هممت بالنزول فى الخرطوم .. ولكن عدلت عن الفكرة فى آخر لحظة وواصلت السير الى القاهرة ! ومن يدرى، ربما لو نزلت الخرطوم لعشت مع شعبها يوم الثورة .. ولكن هكذا شاءت ارادة الله .. وشاءت ايضا ان اعود الى السودان وقد نفض عنه كابوسه وأزاح عنه سجانه وانطلق يعبر عن ذاته وعن حياته الى آخر المدى !

وعشت مع شعب السودان اتفرج عليه مـن شرفة الجراند الاوتيل كما الخواجات ، وعشت معه مندسا بين الجماهير فى المظاهرات أهتف معهم حتى اندبح صوتى وبرزت لوزى من قفاى ودخلت بيوته وحضرت أفراحه وصاحبت عددا كبيرا من أفراده صاحبتهم بحق وحقيق كأننى كنت على صلة بهم من ألف عام صديقى الوحيد الذى كنت أعرفه قبل أن أذهب الى هناك هو الشـاعر محمد أحمد محجـوب الذى خلع رداء الشاعر ودخـل فى رداء وزير الخارجية .. التقيت به فى الوزارة فلم أتعرف عليه . كان يتكلم بحساب وينحنى برشاقة ويبتسم بميزانسين ولا السادة الممثلين .. وأنا أعرف محجوب منذ مدة طويلة ، وسرحت معه الليالى الطوال فى شوارع القاهرة وفى حوارى الجيزة وفى أحياء لندن .. وأعرف أنه شاعر وفنان وابن بلد لولا شهادة ميلاده لاقسمت أنه من مواليد حارة شعبان فى درب الجماميز .. وعندما ذهبت اليه فى البيت تعرفت عليه ببساطة . كان فى الجلابية والعمامة على رأسه والمركوب فى قدميه .. واستقبلنى عند الباب بالموشح المعتـاد .. تبادلنا

السلام والترحيب بلغة فتوات باب الوزير ٠٠ ولكن بعد ذلك لم أستطع أن أجلس مع محجوب ، شدنى أصدقائى الجدد بعيدا عن صديقى القديم ، الاخ عبد الحميد عبدالرحمن وعم بيومى والشيخ مهدى ٠٠ أو الشيخ ٠٠ لاداعى لذكر الالقاب فى هذا المقام ٠٠ والاخ على كابو ٠٠ وأحمد عبد الرحمن وعم حسن مسئول نادى المريخ ٠٠ وسبت دودو حارس المرمى وعمر حسومه وعبد الرحمن مختار وعلى ابراهيم ٠٠ وألوف من طلبة وشباب السودان ٠٠ ألوف سوف يصنعون المستقبل ، ويقيمون الحياة فى السودان ٠٠ كما يجب ٠٠ وكما ينبغى أن تكون الحياة !



◆ على ضوء النار المشتعلة فى أكواخ الزنوج اكتشفت أن عباد النار على صلة عميقة بالرب وأننا على صلة عميقة بوزارة المستعمرات ◆

« أب أوروبى »

وعلى الأرض ~~السلام~~ السلاح!



كانوا يحرمون دخول الجنوب فى وجوه الجميع الا لمن يريد أن يصطاد • وكانوا يبنون الكنائس داخل الستار الحديدى الذى أقاموه حول الجنوب لنتعلم داخلها الكراهية والحقد ، وكانوا يقدمون لنا الانجيل وفى داخله مسدس ، وكانوا يعلموننا فى نفس الوقت كيف نضغط على الزناد لنقتل أخا لنا من الشمال • ولم يكن القساوسة الاوربيون فى الجنوب يتبعون البابا ولكنهم كانوا يتبعون قلم المخابرات • ولقد نجح القساوسة فى مهمتهم خير نجاح ، وقادوا بعضنا ليس الى طريق الهداية ولكن الى طريق الشيطان !

هكذا بدأ شاب سودانى من أبناء الجنوب حديثه معى ونحن جلوس على شاطىء النيل الازرق فى شرفة جراند أوتيل فى الخرطوم • والذى قاله كان هو خلاصة حزينة للمشكلة الوهمية التى خلقها الاستعمار فى السودان وأطلق عليها •• مشكلة الجنوب !

وقبل أن يدخل الاستعمار البريطانى الى السودان لم تكن هناك مشكلة بهذا الاسم كان الجنوب والشمال جناحى دولة أفريقية عظمى اسمها السودان • وعندما وضع أول جندى انجليزى قدمه على أرض الخرطوم أصبح للجنوب مشكلة ، وأصبح دخول عرين الاسد أسهل بكثير من دخول الجنوب ! أقاموا حول الجنوب سورا حديديا من القوانين •• سورا كان لايسمح لأى مسئول سودانى أن يدخل الا بتصريح • واغلقوا أبواب الجنوب فى وجوه الجميع الا للسياح الذين جاءوا من

وراء البحار لقضاء أيام ممتعة فى الغابة واطلاق النار على الوحوش . وانفرد الانجليز وحدهم بالعمل داخل الجنوب . حكام المديريات كلهم انجليز ، وقواد المناطق كلهم انجليز ، والمدرسون كلهم انجليز ، والاطباء كلهم انجليز ، وحراس الحدود كلهم انجليز . وعاش هؤلاء الانجليز داخل الغابة العذراء فى جنة ولاجنة رضوان ، وخرجوا جميعا بثروة ولا ثروة قارون فى سالف العصر والزمان !

وفى داخل الغابة البكر أقام الانجليز قصورا للحكام ومراكز للتبشير ومطارات لنزول الطائرات ، ووزعوا النفوذ فى أرجاء الغابة بين رجال الادارة ورجال الدين ، وبعثوا بالمئات من القساوسة والمبشرين ليقوموا بمهمة فى سبيل الرب !

ومن تحت أردية المبشرين الفضفاضة ومن خلال ذقون القساوسة الطويلة خرجت مشكلة الجنوب الى الحياة . وبعد أعوام قلائل وضحت الحقيقة ، وثبت أن رجال الدين لم يكونوا فى مهمة فى سبيل الرب ، ولكنهم كانوا فى مهمة فى سبيل وزارة المستعمرات ! وكانت اللغة هى أول مسمار دقوه . جعلوا اللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية ، ثم جروا أهل الجنوب الطيبين الى مراكز التبشير ووزعوا على الموالين قطع صفيح لامعة وحبات خرز لها ألوان ريش الببغاء ، وأطلقوا على كل طفل اسما غريبا على أسماع الجنوبيين .. جون أو جورج أو فيليب ! ومرة كل شهر تتردد الام على مركز التبشير ، وفى كل مرة يهدى المركز الى الام حبات خرز ملونة وحفنة أرز أو قطعة لحم و ياردة من قماش فاقع الالوان وعندما يكبر الطفل تأخذه الارسالية لتعلمه أصول الدين .. ويخرج الطفل من المركز ولا يتعلم شيئا من الدين ولكنه يتعلم أشياء عن الدنيا أشياء غريبة تقول أن الانجليز أخوان الجنوبيين ، وأن المستعمرين هم « المندكورو » أبناء الشمال ! وأن الجنوب دولة مستقلة ذات سيادة ، وأن الجنوبى أقرب الى الكينى والاوغندى من الشمالى ابن الخرطوم !

وكما منع الانجليز أبناء الشمال من السفر الى الجنوب ،

منعوا أيضا أبناء الجنوب من السفر الى الشمال • وكان الجنوبى اذا طلب السفر الى الخرطوم منعوه • واذا طلب السفر الى كينيا أو أوغندا أو الحبشة سهلوا له الامر وأحاطوه بالعناية والتكريم • وحتى المئات القليلة التى استطاعت الهرب من السور الحديدى وفرت من داخل الغابة الى الشمال طاردهم الانجليز وتعقبوهم بالقوانين • قوانين عنصرية قاسية يضدرها أنجليز وينفذها شماليون ليتسع الجرح الدامى وليضمن الانجليز أنه سيظل ينزف على الدوام •

أغرب قانون أصدروه كان يحرم على الجنوبى العمل فى الشمال الا بترخيص • وكان طلوع التصريح أصعب من طلوع الروح • لهذا السبب لجأ الجنوبيون الى العمل فى الشمال بدون ترخيص وبدون حقوق • وكان الانجليز غاية فى النعومة وغاية فى الذكاء فلم يستطع أحد من الجنوبيين أو الشماليين أن يدرك سبب الجفوة القائمة بينهما • ولكن الجنوبى ألقى اللوم على صاحب العمل والشمالى ألقى اللوم على العامل الذى يعمل بلا ترخيص !

مشاكل صنعتها الادارة الانجليزية ليوم كانت تعمل له ألف حساب ، هو يوم الرحيل من السودان ! ولكن أهم شىء صنعوه فى الجنوب عرايا كما الزنوج فى الافلام ، جهلة لا يعرفون الفرق حبات خرز شديدة اللمعان ، وأرسلوهم فى بعثات الى مراكز المخابرات فى لندن وفى غيرها من البلاد !

ومن بين هؤلاء الاولاد الصغار الذين علقوا حول رقابهم حبات الخرز ، كون الانجليز كوادرهم فى الجنوب ، وتركوا بقية الناس فى الجنوب عرايا كما الزنوج فى الافلام ، جهلة لا يعرفون الفرق بين الالف وسن الفيل جوعى لا يذوقون طعم اللحم الا كلما مات فيل ضخم داخل الغابة ، وثنيين يعبدون الصواعق رغم الصلبان التى تتدلى حول الرقاب !

ولقد كان الانجليز يرسمون الجو لتكون السودان كونغو جديد ، ولم يكن الانجليز وحدهم يعملون فى الجنوب ولكن نقابة الاستعمار كلها كانت هناك • وكان المبشرون والقساوسة

يتلقون الهبات والمساعدات من الحكومات الغربية ومن شركات الاحتكار ، وكانت العلاقات بين حكومه الحاكم العام الانجليزى فى السودان وحكومة الاستعمار فى الكونغو على خير ما يرام !

وعندما حان الوقت لرحيل الانجليز من السـودان ، خـرج العساكر والضباط وبقى رجال الارساليات فى الجنوب ، بقوا ينكشون فى جرح الجنوب حتى أصبح الجرح دملا ينز فى جسم الشعب السودانى • وتربصوا بالسودان ينتهزون كل فرصة سانحة ليطلوا برءوسهم على المشكلة فى محاولة يائسة لتمزيق الشعب الواحد الى جنوب وشمال •• ولكن مشـكلة الجنوب ليست مشكلة ، ولكنها وهم أقامه الاستعمار على حبات من الخرز الملون وقطع صفيح لامعة ! ولكن الشيء المؤسف حقا والمحزن حقا أن الاستعمار دخل آسيا فى ثياب تجار ، ودخل مصر فى ثياب مرابين • ودخل جنوب السودان فى رداء الكهنوت • حتى الكنسية والانجيل والآباء الطيبين كانوا فى خدمة الاستعمار وأهدافه الحقيرة ! حتى بيـوت الله تحولت الى أوكار لرجـال المخابرات ، وحتى التبشير لم يكن تبشيرا لطريق الرب ولكنه كان تبشيرا لطريق وزير المستعمرات !

وحتى هذه اللحظة لا يزال الجنوب يعيش نفس الحياة التى كان يعيشها البشر أيام سيدنا آدم ، ولا يزال ابن الجنوب يموت من الجوع داخل غابة تنوء بالخيرات ، ولا يزال يرعى قطعـان البقر ولا يذوق الا لحم الفيل !

وكل مظاهر المدنية التي تركها الاستعمار هناك أسماء جون وجورج وفيليب ، وبرنيطة فوق الرأس أو بايب يتدلى من بين الشفاه ، ثم لا ملابس تستر الجسم ولا حذاء فى القدمين !

هل استطعنا أن نلقى بعض الضوء على مشـكلة الجنوب • اذا كنا لم نفعل فقد فضح المشكلة أب أوروبى ذهب الى جنوب السودان وفى يده اليسرى أنجيل ، وفى يده اليمنى تعليمات ادارة المخابرات ، وبعد فترة فى الاحراش صفت نفسه واستيقظ ضميره فخلع رداء الكهنوت وطار الى أوروبا ليكشف الستار عن

أغرب وأعجب فضيحة فى التاريخ ! ٠٠ لقد ذهبنا الى جنوب السودان لنهدى عباد النار الى طريق الرب ، ولكننى اكتشفت على ضوء النار المشتعلة فى أكواخ الزنوج أن عباد النار على صلة عميقة بالرب ، وأننا على صلة عميقة بوزارة المستعمرات واكتشفت ماهو أخطر ٠٠ ان الانجيل نفسه استخدمفى النهاية كموظف فى ادارة المخابرات !

وبعد ٠٠ انالمشكلة لم يعد لها وجود الا فى أذهان بعض العملاء فى الجنوب وبعض العملاء فى الشمال ٠ أما الشعب السودانى الذى خالطته والذى عاشرته ، الشعب السودانى بجناحيه ، الشمال والجنوب ، فليس أمامه الا مشكلة واحدة ، هى مشكلة السودان كله ، مشكلة الشعب الظامىء نحو مستقبل أفضل ، وعالم أكثر سعادة من العالم القديم ! ٠



حول العالم فى ٨٠ قرشا ..



◆ ليس فى طوكيو كلها واحدة ماشيه وصدرها يفسح لها الطريق .. الصدور كلها ضئيلة وكلها ضامرة والناس تجرى ولا تمشى . والنسوان لسن خدامات للرجال الا فى أماكن السياحة وفى أماكن الحظ الأبدى ◆

العجب لله من بلاد لاتحسب المسافات بالزمن ، ولكن تحسبها بالفلوس ٠ فمن بلدنا الى البندر ستين فضـــة ، ومن البندر لبنها ستين تعريفة ، ومن بنها للعاصمة ريال ٠ المسافاتلاوزن لها ٠ والزمن ليست له قيمة ، ولكن السيمة والقيمة للجنيه والشلن والقرش !

وبحساب بلدنا المسـافة من مصر الى اليابان خمســمائة جنيه ٠

ومقابل ذلك أنت تجلس فى طيارة فخمة وضـخمة وعال العال ٠ وفيها عيال طيارين كالشـياطين ، رمضـان وسـالم عبد المجيد ومحمد كامل ومصـطفى النحـاس وطلعت وطلبة وآخرين وفيها بنات مضـيفات متفتحات كالورد ، متاولوات كاليويو،حاضرات دايما كجن سيدنا سليمان٠٠ماجدة ونجوى وتريز ورجاء ٠٠ والاكل فى الطيـارة أحلى من الاكل عنـد الشـيوى ، والمشروب متنوع الويسـكى ، ولكن جارى فى الطيارة عمنا امين حماد ـ بتاع التليفزيون ـ لايقرب الويسكى لانه رجس من عمل الشـيطان وأنا اشرب هذا المدعوق ٠٠٠ الويسكى ليس لداعى السكر ولكن لسبب آخر لايخطر لكـم على بال ٠٠ فأنا بينى وبين اسكتلندا عمار ، لان الاسكتلندى أبو برنيطه لها كعلوشة ، أبو جلبية صوف مخططة ، مزهو بنفسه آخر زهو معتد ببلده آخر اعتداد ٠ وهو يضربلك ميت سلام اذا مديت له كفك وقلت له ازيك يا اسكتلندى ! وهـو يفتح مطوة ويفتح كرشك اذا وصفته بالانجليزى ، لانانجلترا

عند بتوع اسكتلندا حقيرة والانجليزى عار ! لذلك أنا أحب اسكتلندا ، وأحسن شيء فى اسكتلندا الويسكى ، ولذلك أنا أحب الويسكى من هذا الباب لاغير ..

ولكن حكمة الله أننى أحب الويسكى ولكن الويسكى لا يحبنى . فأنا مصارينى ملتهبة ، ومعدتى وارمة ، وفشتى عايمه .. ولا حول ولا قوة الا بالله ..

ولذلك قنعت بكأس واحد فقط لا غير وجلست اتفرج على جمال فؤاد وهو يرتشف قدح الشمبانيا كولد من أولاد اللوردات .. وجمال فؤاد مدير شركة الكرنك صبى فى الثالثة والخمسين ، والصدف العجيبة أن كل رفاق الرحلة كانوا صبيانا تدور أعمارهم حول الستين . حماد وحسن السمرة ومحمود رطبة ومحمد عبد القادر مدير الشئون السياسية بالاذاعة وهو رجل خفيف الدم ، مؤمن بأن الله واحد والعمر واحد ، ولعل هذا مصدر خوفه من الطيارة ، لان الانسان لو كان له عمرين أو ثلاثة لكان الجبان أشجع من خالد ، والرعديد أكثر اقداما من جنكيز خان .

ولقد قامت بنا الطيارة والفجر يتطلع على الابواب . وعندما وصلنا مطار الكويت كان أذان الصبح يملأ الآفاق . ومن الكويت الى بومباى نام العبد لله نوما عميقا حتى ظن حمادانى اختصرت الرحلة وانتقلت الى رحمة الله ! وتحفزت لزيارة بومباى فأنا من زمان عاشق للهند محب للهنود واعتقد أنها أرض السلام والمحبة وخيل الى اننى سأرى فى المطار عشرات من تلاميذ غاندى كلهم عرايا زلط ملط الا من خرقة تستر العورة وتقتل الغرور والزهو فى نفس الانسان . وتصورت أننى سأرى مع كل منهم معزة وحزمة برسيم ، وأننى سأجد الناس بين راكع يعبد بوذا ، ونائم على بطنه يتأمل الشمس . وتصورت أيضا أننى سأرى رجالا ذوى لحى ، عيونهم دامية من أثر السهر الطويل ، طوال كمانخل الحوامدية ، كمافرع الغاب . وتصورت أننى سأسمع من خلف أسوار المطار تراتيل تتصاعد للسماء . وسألمح على البعد نسوان كما شجرة جوز الهند والسارى يغطى نصفهن الأسفل ، ويغطى نصفهن الاعلى ، وبين الاعلى والاسفل

منطقة ـ مثل روما ـ مفتوحة ، ومثل ـ زنزانة السجن ـ عريانة . وعيون سوداء يآدين النبى على نظراتها ، كالسيوف قول ، كالرصاص قول ، ورموش كأنها ستائر مسرح فخيم تسدل وترفع حسب التساهيل والاحوال . وعندما انفتح باب الطائرة هممت أن أخلع حذائى .. ففى أرض غاندى ونهرو ينبغى على الانسان أن يمشى حافى القدمين حاسر الرأس ، ولكن باب الطيارة انفتح فجأة وانفتحت معه طاقة من جهنم ، حر أعوذ بالله ، ورطوبة غسلت جسمى وغسلت ملابسى وكتمت نفسى الله لا يجعلكم تجربوها ياحضرات السامعين ! وسقطت مغمى على ، وحملنى ولد هندى جدع الى المطار ، وفى المطار تكييف جعلنى أسترد الوعى وأفيق من الاغماء ، ودخلت محل فى المطار يبيع كل شيء مصنوع من خشب الصندل ومن خشب الورد ، وأعجبنى فيل ودخلنا فى حسبة برما مع البياع ، بياع شاطر يبدو أنه لم يسمع باسم غاندى من قبل ولم يسمع بنهرو قط ، واقسمت له بالشجرة وبالبقرة أن العبد لله ليست معه نقود ، وأن محمد الخواجا وكيل وزارةالاقتصاد غادر مصر قبل أن أغادرها أنا ، وأن عبد الحفيظ فوده الجيزاوى السابق ومدير النقد ضربنى مقلب حرامية وسمح لى بستين دولارا ليس الا والرحلة تستغرق خمسة عشر يوما ، أى اليومية بأربع دولارات ، وبحساب زمان اليوم بثمانين قرشا ولكن البياع الهندى أصر على أن الفيل بأربع دولارات أى بيوم كامل وحزنت على الفيل ولكن أيضا حزنت على اليومية . ولكن عند الاختيار أخترت الفيل وتوكلت على الذى لا ينام .. وتركت الهند والناس حرانة وعرقانة وحالها حال .. وقلت وداعا أيتها الهند ، فى الشتاء نحضر اليك ، وفى الصيف نبتعد عن شواطئك ونبتعد عن سمائك ، فقد تقدمت بنا السن الى الدرجة التى يؤثر فينا الحر ، ويؤثر فينا البرد ! وطارت الطائرة الى بانجوك .. والى هونج كونج ، والى طوكيو . وطوكيو أيها القراء هى سيدة بلاد الشرق ، وكان علمها يرفرف فى سماء المنطقة كلها ، وكانت حدود اليابان حيث يضع الجندى اليابانى قدمه . وجاء وقت ليس ببعيد كان الجندى

الياباني يضع قدمه ويضع أنفه أيضـــا فى كل شيء وفى أى شيء • وجاء وقت أيضا كانت اليابان المفعوصة تحكم وتتحكم فى امبراطورية الصين الواســـعة ، ولو تغيرت نتيجة الحرب العالمية الاخيرة ، فلربما أصـبحت اليابان سيدة كل العالم ، وربما كان علمها الان يرفرف على مركز الكون ، ولكن القنبلة الذرية حسمت الموقف ، ووضـــعت حدا للتوسع اليابانى ، وجعلت من هيروشيما ونجازاكى ملحمـة مثل ملحمـة محمود وأمينة !

ونزلنا طوكيو فى الصباح ، والسحاب يلفها كأنها قطعـة ماس ملفوفة فى حرير • الجو مثل لندن ، آخر طراوة وآخـر رطوبة ، والمطر نازل على ودنه • الشوارع نظيفة كأن فى كل شارع مجلس مدينة • والبلدية لها تليفونات فى الشوارع ، ولو معك رغيف ممكن تغمس من التليفـــون وتاكل • وعامود النور يشرح القلب ، يصلح لانتظار العاشق وترنح السكران وتأمل الكاتب السارح فى الليل • والمحلات ضخمة وفخمـــة ومليانة حاجات من ليبيـا • والترمايات يتمنى الانســـان أن يموت تحت عجلاتها • والاتوبيسات فاضية تشكو أزمة ركاب حادة ! والشوارع أنواع وأصـناف •• شـوارع على الارض وشـــوارع تحت الارض وشـــوارع فوق الارض •• والارض نفسها حلوة ، لولا المطر الغزير لفعلت مثـل عمر بن الخطاب وفرشت حصيرة يابانى ونمت نوم قرير العين هانيها على رأى عمنـا حـافظ ابراهيم عليه رحمـة الله • واللـوكاندة برنس أوتوكيو ولا شبرد الله يرحم زمانه • والواد اليابانى مؤدب ، ولكن طالما أنت مؤدب • فاذا لعبت بديلك فنهـار أبوك أزرق وليلتك أسود من شعر بنات اليابان • وكل يابانى هيروهيتو فى نفســه • الواد الترجمان تبعنـــا ــ بيتر ــ يرفع أعـلامه ويتمشى أمامنا • فى داخله زهو المرشال زوكوف ليلة اعلان الهدنة ، وتواضع عمر بن عبد العزيز وأدبه ! وهو من جيـل ما بعد الحرب والضرب والقنابل الذرية • وســـحبنا بيتر فى الليل الى جولة حول طوكيو • وطوكيو مثل أى عاصمة كبرى لها وجه فى النهار ووجه آخر فى الليل • الناس كالنحل فى النهار تسعى على رزقها ، والناس كالنمل فى الليل تسعىعلى

مزاجها ! والمزاج غالى الثمن لأن كل شيء في اليابان غالى ٠٠ وأى محل تقعد فيه المشروب بجنيه وواحدة ست حلوة لزوم القعدة بتلاته جنيه حتة واحدة ، ولكن العين بصـــيرة ويـد عبد الحفيظ فوده قصيرة ٠ والليل في حي الجنزا ولا الليـل في حي سوهو في لندن ٠٠ أى شيء تتمناه أطلبه ، وأى شيء تطلبه تجده ، وأى شيء تجده تدفع فيه دم قلبك ! وعيـــال الليل في اليابان تخنفسوا ، الشـــعور كما أمنـــا الغولة ، والبنطلونات محزقة وملزقة ، والجزمة كعب عالى ، والجاكتات قطيفة ولها زراير نحاس ٠٠ شـــغل أخونا الشقى صـــلاح السعدنى ٠٠ والبنت اليابانية نوعين ، حلوة قوى ، أو وحشة قوى ٠٠ تفرست في شكل بنت يابانية ثم قهقهت ضاحكا ، شكلها الخالق الناطق مثل شكل الفقمة ، السمكة الســمينة التي يعلقها الفســخانى في دوبارة ويرفعها على باب الدكان ٠ والحلوات في اليـــابان ولا أميرات مصر أيام زمان ٠٠ البشرة ناعمة ، والشعر سايح ٠٠ والخدود نايحة كما البلح الحيانى والعينين سبحان الذى خلقها والذى فلقها ٠٠ وليس في طوكيو كلها واحدة ماشية وصدرها يفسح لها الطريق ٠٠ الصـــدور كلها ضئيلة وكلها ضامرة ٠٠ والناس كلها تجرى ولا تمشى ، والنسوان لسن خدامات للرجال الا في أماكن السياحة وفي أماكن الحظ الابدى ٠ ولكن في الحياة ، المرأة هي الست وهي كل شيء في اليابان ٠٠ والبنت عاملة في المصنع ، وخدامة في اللوكاندة ، وموظفة فيالبنك ، وبياعة في الدكان ٠٠ وترجمان مع السواح ٠٠ مفيش واحدة عاطلة ولا واحـــدة قاعدة ٠٠ ولاست متفرغة لتخريط الملوخية وتنظيف الفراخ ٠٠ ولاواحدة ماسكة عصايا لترويض سبع قرود نازلين تنطيط على ودنه ! ويبدو أن النور في اليابان ببلاش ٠٠ الشوارع مضاءة كأننا في جنة ، ولمبة النور كأنها تحفة ، والنور أزرق وأحمر وأصفر كأننا في مهرجان ٠٠ واعلانات المحلات تنافس أنوار الحكومة اعلانات ســبحان الذى تفنن والذى أعلن ٠٠ أنوار من فوق وأنوار من تحت وأنوار من بين شجر الشوارع ٠ وكل سلعة هامة ولها اعلان في الشوارع وكل مصنع كبير وله لوحة على عمارة ٠٠ واليابان تنتج كل شيء من أول اللؤلؤ الىأكل الكلاب

والقطط ! . والاعلانات شكلها حلو ويفتح النفس ويغـــرى بالشراء .. وتذكرت اعلانا هرشوا به مخى . خـلال عام كامل عن مستحضرات تجميل أظن من انتاج مصانع أبو زعبـــل .. والشركة المنتجة مصرة على حكاية أبو زعبل .. شيء يسد النفس ويورث الشؤم ويجعل الانسان يسب ميت سلعة وميت زعبل.

وأعجب شيء ان اليابان ليس فيها أى شيء ومع ذلك تصـنع كل شيء .. فليس فى اليابان فحم ولا جاز ولا حديد ولا حاجة عـلى الاطلاق .. ومع ذلك تصنع اليابان ساعات ضربت بها سويسرا، وصنعت عربيات ضربت بها أمريكا وألمانيا ، وصنعت ملابس ولا انجلترا .. وصنعت لعب وليس لها فى هذا الميدان منافس .. ولو كانت اليابان فى كامل حريتها لوصلت القمر وربما وصلت زحل والزهرة .. فالياباني يصنع أى شيء يراه ، ولكن صنعة الياباني أحسن .. والقطر الياباني أحسن من القطر المجـــرى وأفضــــل من القطر الانجليزى وأكثر ذوقا ورقة من القطـــر الامريكى والفيلم اليابانى أفضل من الفيلم الامـريكى والايطالى والفرنساوى .. ولكن عقبة اللغة تقف ضد انتشاره . واليابانى معجب بلغته ولعل ذلك هو نقطة الضعف فيه . وهو يتوهم أن كل مخلوق على ظهر الارض يعرف اللغة اليـــابانى ، ولذلك فهو يكتب كل شيء باليابانى ، يفط المحـلات وأرقام الترمايات وفاتورة اللوكاندة وحساب الحمام التركى . وعظمة اليابانىأنه يصنع كل شيء للتصدير ويكتفى هو بالحياة فى حدود تسمح له بانتاج أكثر وتصدير أكثر وعملة صعبة أكثر . ذهبت الى بيت صحفى يابانى صديق كنت أعرفه فى القاهرة ، وصدمنى بيت الصحفىاليابانى . صحيح فيهذوق ، ولكن الذوق هو كل مافيه واكتشفت أن الصحفى اليابانى يعمل أكثر من أى صـــحفى فى العالم . ويتقاضى أقل من أى صـــحفى حتى فى تايلاند .. واكتشفت أيضا أن كل يابانى يعمل أكثر ويتقـــاضى أقل . . والعامل اليابانى أكثر انتاجا من العامل الالمانى ولــكنه يتقاضى أقل . وأدركت عندئذ أن الشعوب مثل الفواكه ، شـــعب موز وشعب تفاح وشعب جميز وشعب فقوس وشعب شوك لاينفـع ولكن يضر ! وعلى هذا القياس يكون شعب اليابان شعب تفــاح جولدن ، شعب بطيخ شليان ، شعب برقوق مســتكاوى ليس

لحلاوته نظير ! انه شعب دوداوى مثل دودة القز ، يأكــل ورق التوت وينتج حرير كانيبو ٥٥٠٠ • وهو شعب نحلاوى مثل النحل ، يقطف رزقه من أوراق الشجر وينتج عســلا فيه شفاء للناس • وبعض الشعوب تأكل العسل وتنتج قوالح • وتأكل الحرير وتنتج الاسفلت • حكمة الله • ان الناس جميعـــا أبناء آدم وحوا ومع ذلك فبعض أبناء آدم استحلوا القعـــدة والمغنى والبهلله •• وبعض أبناء آدم يصنعون من الفســـيخ شربات ، ومن الدقشوم مربة وتورتة وعسل النحل ! ولولا عبـد الحفيظ فوده ، ولولا الـ ٨٠ قرش يومية ، لقطعت اليابان طولا وعرضا ولتمشيت أفرنجى فى شنباشى ، وفى الجنزا ، وركعت بالاسابيع فى معبد بوذا أتكلم وأبغبغ •• ولنمت فى الحمام التركى أتحمم وأتدلك •• ولكن منه لله عمنا عبد الحفيظ فوده ، ومنه لله الذى لايسمح للعبد لله بالعودة مرة أخرى الى اليابان قبل أن تصــعد الروح الى خالقها •• ومع ذلك ، ورغم ذلك ، فما زال للحديث بقية ••



◆ يعلم الله أننى كنت دجال وكاذب
ولكن يبدو أن البنت صدقتنى فقالت :
ربما .. فأنا شخصيا لم أعرف
الا عشرة رجال ◆



حكمة الله أن النية كانت تقصد الكتابة عن اليابان ، ولكن القلم يتجه رغم النية الى الكتابة عن القمر · وأعتقد أن القلم عنده حق فليس فى العالم شىء مثل نزول انسان على القمر يثير خيال الناس · وليس فى العالم شىء أروع من أن يسافر مخلوق حى من كوكب الارض ، قاطعا ألوف الأميال ، فى فضاء ليس له نهاية وفى فراغ ليس له وزن ، وفى طريق ليست به معالم ، وفى خراب يخيف الجن والوحش ليهبط فى النهاية على رصيف محطة القمر وليجد أن كل شىء هناك ــ كما كان فى البدأ ــ ظلام فى ظلام ، وخراب فى خراب ، فلا واحد بتاع ترمس على باب المحطة ، ولا شيال فى انتظار الزبون ، ولا بوفيه لزوم الشاى والقهوة ، وأنا أكتب هذه الكلمات فى صباح يوم الاحد الماضى ، ورواد الفضاء يتسكعون فى السفينة أبوللو حول القمر ، ويستعدون للنزول على أرضه ! ولا أدرى ماالذى سوف يحدث ، هل سينجح الانسان فى تحقيق حلمه أم سيفشل ؟ ولو فشل ــ لا قدر الله ــ فليس معنى هذا أن حلم البشرية قد تحطم ، فالاكيد ان الانسان سيحاول من جديد ، وسيهبط يوما ما ليس على القمر فقط ، ولكن على القمر وعلى المريخ وعلى الزهرة · انها سلسلة طويلة من التجارب بدأت بعباس بن فرناس ، ولن تنتهى أبدا ، ويوما ما فى قرن ماسيترك الانسان الارض ليس الى القمر ولكن الى أرض أخرى فى مجموعة شمسية أخرى ! ويومئذ سيكون العبد لله مشنجر آخر شنجرة فى ترب الغفير ، وسيكون عبد الرحمن الخميسى مجرد عظام

مبعثرة فى تربة من ترب الامام ، وسيكون الهيكل العظمى لحسن فؤاد فى مستشفى القصر العينى موضع دراسة شاقة لطلبة الطب عن انسان ماقبل القمر ! ولعل فرحتى الكبرى أن أحدا من الناس الذين أعرفهم الآن لن يكون على قيد الحياة فى القرن القادم ·

ولعل لذة الحياة تكمن هنا · فلو كان الموت فيه استثناء ، ولو أن الموت اختارنى أنا وترك الخميسى ، لحزنت حزن الابل · فليس من المعقول أن أموت أنا ، والخميسى يسرح على باب الله ! المهم اننى لاأستطيع أن أتكهن بالذى سوف يحدث لحظة نزول الانسان على القمر · ربما انفتح فجأة قبر هائل فابتلع الرواد والمركبة · ربما امتدت يد هائلة من بين الصخور فخطفتهم جميعا · ربما زحفت فجأة عقربة فى حجم الطوربين ولدعت رائد الفضاء وقفزت فى المركبة وطارت بها الى الارض ، ونزلت لدع فى سكان فلوريدا وسكان نيويورك حتى شطبت على بتوع أمريكا ثم زحفت من هناك على أوروبا · وتصبح كارثة كبرى من هنا لشبرا ، لو اكتشف البشر أن العقربة الملعونة لاتؤثر فيها المدافع ولا القنابل الذرية ، وأنه لا مناص من هلاك البشر على ذنب العقرب القمرى ! وقد يحدث هذا وقدلايحدث · فاذا لم يحدث فهى قصة هايفة تستحق أن يخرجها حسن الامام أو حلمى رفلة ! ولكن أروع من هذا كله أن يتمكن الانسان فعلا من الهبوط على القمر ، وأن يتمشى فى التراوة القمرية ، وأن يكتشف أيضا أن كل حسابات العلماء كانت خاطئة وأن على القمر نبات وحيوان وحياة · لحظة غريبة فعلا أن ينزل انسان على القمر ، وأغرب منها أن يكتشف انه وحيد فى هذا الفراغ الكئيب الموحش · أنه رجل شجاع حقا هذا الذى تطوع للقيام بهذه الرحلة ، رغم اننى أعرف ناس فى زماننا هذا اذا سافر الى دشنا خرجت الاسرة كلها خلفه تودعه ، فاذا تحرك القطار تصاعد الصويت والصريخ واللطيم فى الجو ، وتقوم مناحة لاتقعد الا اذا عاد المحروس من دشنا ! أنا نفسى أشفق على نفسى من لحظة الوداع · لذلك أسافر الى أقاصى الارض دون وداع ! وأكره المودعين لأن منظرهم يشبه المشيعين ، ولكن أحب المستقبلين لانهم رمز الفرحة باللقاء والسعادة

لسلامة الوصول . ولكنى خالفت القاعدة فى رحلة اليابان ، ولذلك تشاءمت . فقد أصر محمد نافع ومحمد صلاح وسرور أبو هاشم على توديعى . وجاء معى الولد الشقى أخونا صلاح السعدنى والاخ عزت مروان وتوفيق أبوتركى فلاح البدرشين الذى آثر الفرار الى المدينة ، وعم أحمد المنجد الاسماعيلاوى الذى هاجر الى المنصورة تاركا ثلاثة من أبنائه يدكون مواقع اليهود عند خط النار ! وجاء معهم محمود عفيفى وعبد الغفار صيام وأمين الغفارى وطوغان وحسن فؤاد . شلة محترمة ولو نعش وكام تربى لأصبحنا جنازة حارة تستحق شادر وصيبيت وميكريفون لازعاج الجيران ونعى فى الاهرام أن الميت قريب وحبيب ونسيب فلان وفلان . لذلك نمت فى مقعدى بالطائرة وأنا متوجس شرا ونزلت اليابان وأنا متشائم ، وقضيت فيها ثلاثة أيام لم أشعر فيها بالسعادة ولم أشعر فيها بالأسف . ولكن رابع يوم رزقنا المولى الكريم ببنت يابانية شكلها على رأى ابراهيم الموجى كما البريصة الاصفهانى ! شعرها أطول من جسمها ، نحيفة مثل حضرتنا ، مهذبة مثل حضرتكم ، بقها دايما مفشوخ عن ابتسامة عريضة وكأنها جرسون نشيط فى قهوة بوديجا ! وتفاهمنا بسرعه ، وتكلمنا مرة باليابانى ومرة بالانجليزى ومرة باليابالبزى .. خليط من اليابانى والانجليزى وهى لغة جديدة أعتقد أن الدكتور لويس عوض يستطيع أن يحدثنا عن أسرارها وآدابها ويستطيع أن يكتب بحثا فى الادب المقارن عن الاساطير اليابالبزى وأثرها فى شعر الشاعر أبو كحكوح الاموى !! ولكن عمنا محمود شكوكو يستطيع لانه أبسط أن يغنى أغنية جديدة مطلعها اليابالبز اليابالبز دا انت حبك والله يغيظ !

وأعتقد أنه من محاسن السفر على وزن محاسن الصدف ، اننى اكتشفت فوائد السفر ، وهى ليست سبعة كما قال الشاعر ولكنها أكثر وأعتقد أن من بين هذه الفوائد زيادة الدخل القومى ، ورفع مستوى الفنون والآداب . وهاهو العبد لله فى رحلة قصيرة مثل رحلة اليابان ، عدت وفى جعبتى عدة اقتراحات .. فيلم لحسن الامام وبحث للدكتور لويس عوض

وأغنية لمحمود شكوكو ، هذا عدا الاقتراحات التى سنطرحها عليكم فى قادم السطور والمقالات !

المهم البنت اليابانية سرحت معى فى شوارع طوكيو ، والبنت موظفة ومتعلمة وشغوفة بالحب ولهـا ولد صديق يابانى ولكنه لعبى . والولد اليابانى اذا كانت عنيه زايغة .. وجد لنفسه أكثر من الصبيان .. لأن الجواز مشكلة .. وأيضا لأن اللهو مباح والحب ممكن وأيضا لان السياح على قفا من يشيل . . وأغلب السياح نسوان وأغلب السياح النسوان وحيدات ، وأغلب السياح النسوان الوحيدات فى حاجة الى ونيس .. من أجل هذا كله أصبحت المسائل سلطة . البنت جعانة للحب ، والولد هربان منه . والعبد لله رغم أننى لست يابانى الجنسية الا اننى يابانى الطبع . وسألتنى البنت المثقفة .. لماذا كل الرجال هربانين من الخدمة ؟ هل هى صفة من صفات عصر الفضاء والقنابل الذرية ..وأنكرت أنا أن يكون جميع الرجال هربانة من الخدمة ! وقلت أنا شخصيا لاأعرف من الرجال الهربانين الا ثلاثة .. الخميسى والحجاوى والفتى الامرض سعيد أبو بكر .. والامرض ، وليس الامرد !

ويعلم الله اننى كنت دجال وكاذب . ولكن يبدو أن البنت صدقتنى ، فقالت ربما .. فأنا شخصيا ــ البنت ــ لم أعرف الا عشرة رجال فكيف لى ان أحكم على غيرهم ! والحمد لله لانها لم تدخل فى تجربة مع الرجل الحادى عشر ، والا لاكتشفت اننى دجال وانها كانت على حق !! ولكن أغرب شىء اننى اكتشفت من خلال الحوار مع البنت اليابانية شيئا لم يكن يخطر لى على بال .

أثناء جلوسنا فى ملهى الكريزى هورس .. دخلت خمس فتيات امريكيات آخر دلع وآخر هوسة . القوام ممشوق والوسط يكاد يصرخ من الخنقة .. والشعر مستعار ونازل على الركبة وبنت تلبس فوق الركبة ، وبنت تلبس فوق الرقبة . وواحدة فيهم سكرانة وعدمانة .. ولذلك اكتفت بلبس الجونلة فقط والحمد لله لانها لم تنس الملابس الداخلية ! وقلت للبنت

اليابانية عظيم ٠٠ ان حركة السياحة فى اليابان شـــغالة على ودنه ٠٠ وانقمصت البنت وامتعضـــت ، وقالت ملعـــون أبو السياحة وملعون أبو السياح ٠٠ كل السياح اليوم بنات وكلهم ستات ٠٠ وهدف السياحة البحث عن رجال ٠٠ ولذلك أصبح الولد الياباني يتبع وزارة السياحة ! وأصبحت ســتات اليابان ضد السياحة والسواح !

وضحكت لهذا الاكتشاف ٠٠ فصحيح ان شكل الســـياح تغير ٠٠ وتغيرت أيضا نوعيات السياح ٠٠ زمان كان الســائح مريض أو فنان أو واحد من ملوك الاقطاع والاموال ٠٠ واليـــوم صارت السياحة للطلاب والصياع والنسوان ٠ وصـــحيح ان حركة السياحة زادت مليون فى الميه بعـــد الحرب العالميـــة ، فهجمت نسوان ايطاليا على اليونان وطفشت نسوان اليونان على قبرص ، وهربت نسوان قبرص على أسبانيا ٠٠ وزحفت نسوان أسبانيا على المغرب ٠٠ وهكذا أصبحت السياحة تبـادل خبرات وتبادل ستات !

ولذلك أيضا فشخت بنت سمراء وملفوفة بقها للعبـد لله فى مطعم فندق برنس أوف طوكيو ٠٠ وبعـــد الســـلام والـكلام اكتشفت انها مكسيكية ٠٠ وانها فى رحلة حول العالم ٠٠ وانها هاوية طوابع بريد وهاوية التعرف الى أكبر عدد من الشبان ! وأدركت أن البنت المكسيكية عميت ، لأن الصلعة أصـــبحت منورة ، والعين أصبحت ذابلة والبشرة أصبحت مكرمشـــة ولا حول ولا قوة الا بالله !

ولعل برنامج غزو الفضاء الامريكى تم تحت ضغط نسوانى ليس له مثيل ٠٠ لعل النسوان اكتشفن أن الكوكب الارضى قد عقم الآن من الرجال ٠٠ وهن على حق ٠٠ بسبب مشاكل مابعد الحرب ، وخطر الحرب الذرية والانهيار الخلقى الذى اجتاح بلاد الخواجات ٠٠ ولعل السبب فى غزو الفضـــاء هـو البحث عن مخلوقات جديدة ورجال جدد وعوالم أخرى تجعل الانســـان غاية ونهاية فى الفرفشة والمزاج ! ولذلك أصبحت الســـياحة شىء ضد التقاليد والسلوك والاخلاق !

الستات سهل أمرهن ٠٠ والرجال ينبغى أن يقام لهم سوق

للرقيق وينبغي أن تهدر من أجلهم كل القيم وكل الأخلاق ، ولقد سارت طوكيو فى نفس الطريق الذى سارت فيه روما ولندن وباريس ، وفى شوارع طوكيو العظيمة يقف ألف شاب بالليل ومعهم كل شئ ٠٠ صور وعناوين ، ومستعد لكل شىء ٠٠ فقط عليك أن تدفع وستجد طلباتك كلها مجابة ٠٠ وكل شىء على مايرام !

وحزنت أنا من أجل طوكيو الجميلة الجريئة التى ضربت الغرب على قفاه ٠ هزمته فى المصنع وفى السوق وفى ميدان القتال ٠ وأنا شرقى ، واليابان أم الشرق ، والشرقى للشرقى كالبنيان المرصوص ! ولذلك حزنت لان اليابان كانت ولا تزال مفخرة لكل شرقى ٠٠ ولكن هاهو الغرب اللعين يهجم عليهم ٠ ليس بجيوش هذه المرة ولكن بسواح آخر ألاجه وآخر دولارات وهكذا الغرب اذا لم يستطع أن يدخل من الباب دخل من الشباك ٠ وهو يريد أن يقضى على الامة اليابانية العريقة ذات التاريخ والتقاليد ٠ وهو يعمل فى هذا الميدان بهمة ، وهو يوشك أن يحقق انتصارا لم يستطع أن يحققه فى ميدان القتال وتذكرت مصر ٠٠ ولا أدرى لماذا ربطت بين مايحدث هنا وما يحدث فى طوكيو ٠ الغرب لم يستطع أن يهزمنا حتى الآن ! حتى عندما استطاع أن يهزمنا فى ميدان القتال فى ٥ يونيو لم يستطع أن يحقق ماكان يرمى اليه ٠٠ فلم نستسلم ولم نلق السلاح ٠ وهو لم يستطع أن يخترق حصوننا عن طريق السياحة فدخل من باب آخر ٠٠ باب التهريب ! وظاهرة غريبة أن نجد فى مصر كل شىء مهرب هذه الايام ، الساعات وأقلام الحبر والأقمشة وحتى الفوطة والبشكير ! والغريب انها بأسعار خرافية وأنا أقسم انها ليست حركة عشواء ، ولكنها مدبرة ومخططة ٠٠ هدفها فى النهاية تحطيم اقتصاد مصر ، ووضع أنفها فى الرغام ! وبهذه الرؤية الجديدة أستطيع أن أقول أن هؤلاء المهربين ليسوا مهربين ولكنهم خونة وعملاء ! والموظف الذى يغمض عينيه جريمته أكبر ومصيبته سودة باذن الواحد القهار ٠ وينبغي أن نأخذهم جميعا بالشدة ٠٠ فلا تهاون مع الخونة ولا شفقة مع المخربين والعملاء ٠٠ واذا كان الجاسوس

يعطى أخبـــارا للعدو فالمهرب يعطى ماهو أخطر ٠ واذا كان الغرب استطاع أن يدخل اليابان عن طريق السـياحة ، فقـــد دخل مصر عن طريق الشاى والشرابات النايلون والقماش ٠٠ وأنا فى اليابان حصل لحضرتنا من هذا الأمر غم ٠ ونظـرت الى المصانع والشوارع وقلت سبحان الله ٠

والست والدتنـــا زمان كانت دائمـا تردد يابانى فى غـير ملكك ٠ ولا ينطبق هذا الكلام عـلى أحد الآن قدر انطبـاقه على اليابانى الجدع الذى أجدع من سباع الغاب ٠ ورغم أن الرحلة كانت قصيرة وفقيرة ٠٠ الا انه لايزال على طرف اللسان كلام ياحضرات السادة وياحضرات الستات ٠



وداعا توكيو



في ريف بلادنا ، تنطلق دائما اشـاعات مؤداها ، أن مركزا ما ، أوقرية ما ، أومدينة ما ، باختصار فيهذا «الما»كلالنساء حلـوين ، وكلهن صـبايا ، وكلهن راغبـات للعشـق ، راغبات فيه !!

سمعت هذه الاشاعةمرة عن قرية في المنوفية وسمعتها وأنا طفل ، وفي القرى يسمع الاطفال الحكايات فلا ينسوها وينسج منها الليل والهدوء والظـلام وخرير الماء أساطير وخـرافات اذا أطبقت على عقل الطفل وأنشبت أظفارها فيه فلا يمكـن أن تطلع الا ـ كما الوطواط ـ بالطبل البلدى ! لذلك عندما كبرت وأصبحت شابا ، واصبحت من عيال البندر ، لم استطع الفكاك من سحر هذه الاشاعة ، ولم أستطع أن أتخلى عن نية زيارة هذه القرية ، ورؤية نسائها وصباياها ، فلما اتيحت لى الفرصة ، لم تقع عينى خلال ساعات طويلة الا على نسوان كما الفسيخ الميت والحلوة منهن كما الغراب النوحى !

ومرة ثانية وأنا في المعهد العلمى الثانوى ، مدرسة شارع محكمة السـيدة زينب ، حيث كل التلاميـذ معلمين أولاد معلمين ، جزارين وحانوتيه وجدعان ، راس الواحد فيهم تفلق الحجر ومشط رجله يجعل أجدع شنب يتشـقلب على ظهره ويتشقلب على بطنه ولا شقلباظ السيرك !

من هؤلاء التلاميذ تعلمت شيئا تحول بعد فترة الى قانون الجاذبيـة ، والى نظرية فيثاغورث ، والى قاعدة مثل قواعد

أمريكا فى أسبانيا . هذا الشيء هو أن بنات المنصورة حلوين ونسائها آخر جمال .. وأن المسافر للمنصـورة ، محظوظ مبسوط .. آخر الاجه وآخر انسجام .. حتى جاءت فرصة ذات يوم وذهبت الى المنصورة .. وتصورت انه عندما يقف القطار فى المحطة ستهجم علينا ألف بنت من بنات المدارس الثانوية ،ومائة ألف ست ، عاملات وربات بيوت ، وكنت وقتئذ فى العشرين من العمر ســن الشـــباب والغرور والزهر .. وقضيت الطريق من القاهرة الى المنصـورة أفكر فيما ينبغي أن أفعله عندما أهبط على المحطة ؟ هل أستسلم للستات ؟ أم أقاوم ؟ أم أستسلم وأحتج وقررت أن أخـتار السمينة مثلا لا داعى لها ، والتى فوق العشرين ليس لهـــا لزوم .. اذن علينا بالتركية المصرية ذات القوام الملبن والعيون الزرقاء . وعندما توقف القطار فى المنصورة أصـــلحت من هندامى ومن رباط عنقى وبللت حـذائى بريقى ، وهــبطت المحطة نافشا كالمرحوم روميل يســتعرض جنوده .. ولكن وكستى العريضة اننى لم أشاهد أحدا فى المحطة الا الكمسارى والمسافر والشباك ، وقلت لعل البلدية أومدير المديرية منع دخول المحطة نظرا للزحام .. لعل الستات واقفات على أحر من الجمر فى انتظار خروج حضرتنا !

ولكن النظرة الاولى للشارع جعلتنى أومن أن النســوان موجودات فى عقلى الهايف ، وأن المنصورة مثل الجيزة مثــل منوف مثل شـــبين ، بلد عادية وما يدور فيها يدور فى أى مكان على ظهر الارض .. ومع ذلك لم أكف أبدا عن تصــور أشياء خرافية ، وكانت آخر خرافة تصورتها أن ستات اليابان حلوين .. وأن الرجل اليابانى ملك متوج ، وأن الســت اليابانية آخر جمال وآخر دلال وآخر أدب .. اذا كح الرجل ارتعدت ، واذا زغر انتفضت واذا عطس قالت له يرحمك الله !

ولكن حكمة الله أن ستات الصين احلى من ستات اليابان وأرق! والبنت اليابانية تزغر لها فتزغر لوالدك ! وتكح فتضربك فى ظهرك . وتعطس فتقول لك ضع على فمك منديل الله يخرب بيت أبوك ! .

ولكن البنت الصينية تنفخ فيها فتتمايل ، تهزها فتقع ،

تلمسها فتجرحها ويلزم لها كولونيا واسعاف . ضـــللت الطريق مرةفسألت بنت يابانية فشرحتلي ووصفتلي ، وقالت : على طول واكسر على اليمين . ولكي تؤكد أنالكسر على اليمين عكمت يدى اليمين وياحزنى .

طقطقت عظامي حتى تصورت انني أخطأت وسألت ليستون! وقلت حذار لا أسأل ولا استفسر .. التوهان افضل لانني فى النهاية سأعود ، أما السؤال فقد يقذف بى فى مستشفى أبو الريش الياباني ! ولكنى تعاملت مرة أخرى مع ســـت يابانية عندما رأيتها أشفقت عليها .. ودعوت لها أن تبـــرأ من ضعفهاومن سقمها . ولكنالبنت المسلولةألقت بىعلىمنضدة وانتصبت واقفة على أطراف أصابعها تمشي على ظهرى ، كانت الست تقصـــد التدليك ، ولكن الذى حدث كان التكتيك ، أقصد عظامي تكتكت كأنها أسنانأفندى مذعور ساعة غارة .. أو أسنان جعان فى أول طوبة ! ورفعت رأسى أسألها ، هلهذا تدليك ؟ قالت اسكت ! ودغنتنى بكعب رجلها فى ســـلسلة ظهرى .. وصرخت منأعماقى ، يعنى من أعماق أمعائى ، وهى كلمة جديدة فى اللغة العربية أهديها الى بتوع المجمع اللغوى لا أريد منهم جزاء ولا شكورا ، وأغلب ظنى أنهم لن يقبـــلوا الكلمة لانها صادرة من العبد لله ولو كانت من مخلفات أبو كحكوح الاموى لاصـــبحت مادة لكتاب اســـمه الجاموس فى شرح القاموس .

المهم .. عندما دغدتنى البنت بكعب رجلها فى ســـلسلة ظهرى ، أنا صرخت من أعماقى ، ياخفى الالطاف ، نجنا ممـــا نخاف ! .

ومرة ثالثة وأنا فى مطـــار طوكيو استقبلتنى بنت الحق حلوة ، جسمها مثل القلم الحبر الصينى ، طعمه طعامةاللحمة البتلو وارد أجا .. وتكلمت البنت واشفقت عليها من الكلام فمثلها ينبغى الا يتكلم ، ولو أنا صـــاحب البنت أحلف ميت يمين .. شارع لاتخرج .. شباك لاتنظر .. كعب رجل منها لايظهر ! والبنت صوتها جميل ، صوصوة مثل كلامالعصفورة حتى أكل البنت جميل .. احبوب مثل أكل العصفورة .. حتى

لبسها جميل ٠٠ أصفر أزرق أخضر مثل ريش العصفورة !
وقلت يا سلام لو انا رســـام مثل عمنا جمال كامل ، لو أنا شاعر مثل عمنا المتبنى ٠ لو أنا موســـيقار مثل عمنـا عبد الوهاب ٠ لو أنا جواهرجى مثل الاخ عكاوى ، آه لو أنا واحد من دول ، اذن لحصل الكلام والوئام والذى منه ! المهم البنت العصفورة اكتشفت اننى سارح ولم تدرك اننى ســـارح فى جمالها ٠٠ فصرخت تستعجلنى صرخة مثـل صرخة عمك محمد الحلو فى أسد السيرك العجوز ، وتعجبت ؟ كيف تصرخ البنت العصفورة مع أن العصافير لا تصرخ ، فلما هممت بشـــيل الشنط لم أســـتطع أن احملها كلها دفعة واحدة ، فانحنت البنت العصفورة وشالت جميع الشـــنط ، وانطلقت أمامى تجرى ! ٠

وقلت لماذا نسوان اليابان شكل آخر غير نسواننا ٠ النسوان هنا تتقصع مع انها فى حاجة الى بولدوزر من عند عثمان أحمد عثمان لازالة اطنان من اللحم والشحم ، وتتعوج وهى توعى على فحت البحر ، وتتدلع وهى مثل أمنا الغولة ٠ ليس فى العالم نساء دليكات مثل نسائنا ! ٠

أقصد نساءنا فى المدينة ٠ ولكن نساءنا فى الريف ياميت جدعنة وياميت حلاوه ! أنا اعرف بنت سنكوحة ، فستانها باتسته ٠٠ وجزمتها من عند باتا ، وشعرها مدبوب فيه إلف فلاية ، وكعب رجلها حاشـــف وناشـــف ، البنت اياها اذا تكلمت قلبت الطاء تاء والراء لام ٠٠ آل يعنى بنت طوسون باشا زوغلى ! ٠

لماذا ستاتنا بغاشة ، وستات الغير آخر حلاوه ولكن آخر شـــغل على ودنه ٠٠ اعتقـــد أن الحل هو أن تدخل البنت الجيش ٠٠ إن العيال المايصـــه يدخلون الجيش فيصـــبحون رجاله ، فلنجرب دخول البنت الجيش ، أولا لانه حقها وثانيا لان دخول البنت فى الجيش مكسب للامة ومكسب لها ، حتى البنت فى الجيش مؤدبة طالما أنت مؤدب ! فاذا لعبت بديلك لا سمح الله ٠ فالبنت الجيشا تتحول الى أسدة ــ مؤنث أسد ــ تضرب بالاظافر وتنهش بالانيـــاب ! والبنت واقفة فى كل

حته ٠٠ حتى فى أشق واعنف الاعمال ، وكل بنت فخـورة بعملها ، مبسوطة لانها تؤدى عملا والسلام ٠ والبنت فى مصر تعمل ممرضة وتندب حظها السيىء ، وتسأل الله أن يفتحها فى وشها ويجعلها ممثلة فى مسرح عمر الخيام ٠

والبنت عندنا مدرسة وطول عمرها تبحث عن دور فى فيلم من أفلام حسن الامام ! لذلك أنا انبسطت جدا من البنت فى اليابان رغم قسوتها ورغم فتوتها ، وانبســـطت أكثر لانها تعرف الاصـــول والاحترام ، وأنا صعدت أعلى قمة جبل فى « نيكول » بالقرب من اليابان ، وكان معنا فى المصعد عشرين سيدة أشك أنهن جميعا اشتركن فى رضاعة سيدنا نوح ! واحدة منهم شكلها الخالق الناطق شكل شيتا ، والحجم الخالق الناطق حجم طرزان ، وقلت فى نفسى سيدة مثل هذه ما الذى جاء بها تتفرج على الاثار ؟ مع انها قطعا كانت موجودة على قيد الحياة أيام كانت القارة اطلانطس موجودة ٠ وقبل أن تنفصل عن الارض لتصبح فيما بعد كوكب القمر وصعدنا الى القمة وتفرجنا وجلســـنا ٠ وجاءت بجوارى الســت الحيزبونة ، فاكتشفت أن المرأة الدردبيس كانت فى مكتب للترجمة ملحق بقيادة اليابان خلال الحرب العالمية ، واكتشفت أيضا أنها لم تكن مترجمة فقط ولكنها كانت محاربة أيضــــا ! وفى جنبها اليمين آثار رصاصة ، وسألت المرأة الدردبيس عن رأيها فى المرأة اليابانية فزغرت لى وقالت ولماذا أنا بالذات تسألنى ؟ قلت لانك قديمة ٠٠ ولانك قطعا تفهمين الستات فى اليابان ، قالت لا أحد فى العالم يفهم الستات ٠

وكذاب ابن كذاب من يدعى أنه يفهم ست واحدة فكل ست كوكب غامض يدور فى فضاء الكون ، ولكى تكتشفه يلزم لك صاروخ جبار وسفينة فضاء ورواد مثل رواد أبوللو ٠٠ وقد يتمكن الرواد من النزول على المرأة ٠ وقد يحصلون منها على بعض الصخور أو بعض القشور ، لكنهم لن يكتشفوا سرها أبدا ٠

قلت للســـت اليابانية ولكن العبد لله ينظر للســـت من دول نظرة رقم ٥ أو رقم ٦ حسب التساهيل والاحوال ، فاذا بى اكتشف أمرها ٠٠ قالت أنت هايف ابن هايف وفكرت فى

استخدام عضلاتى واستعمال مقصاتى وبونياتى ولكن منظر المرأة اليابانية التى كانت تعمل فى قيادة جيش اليابان جعلتنى اتسامح وصدق عمنا المتنبى حين قال ، كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجىء اليها اللئام !

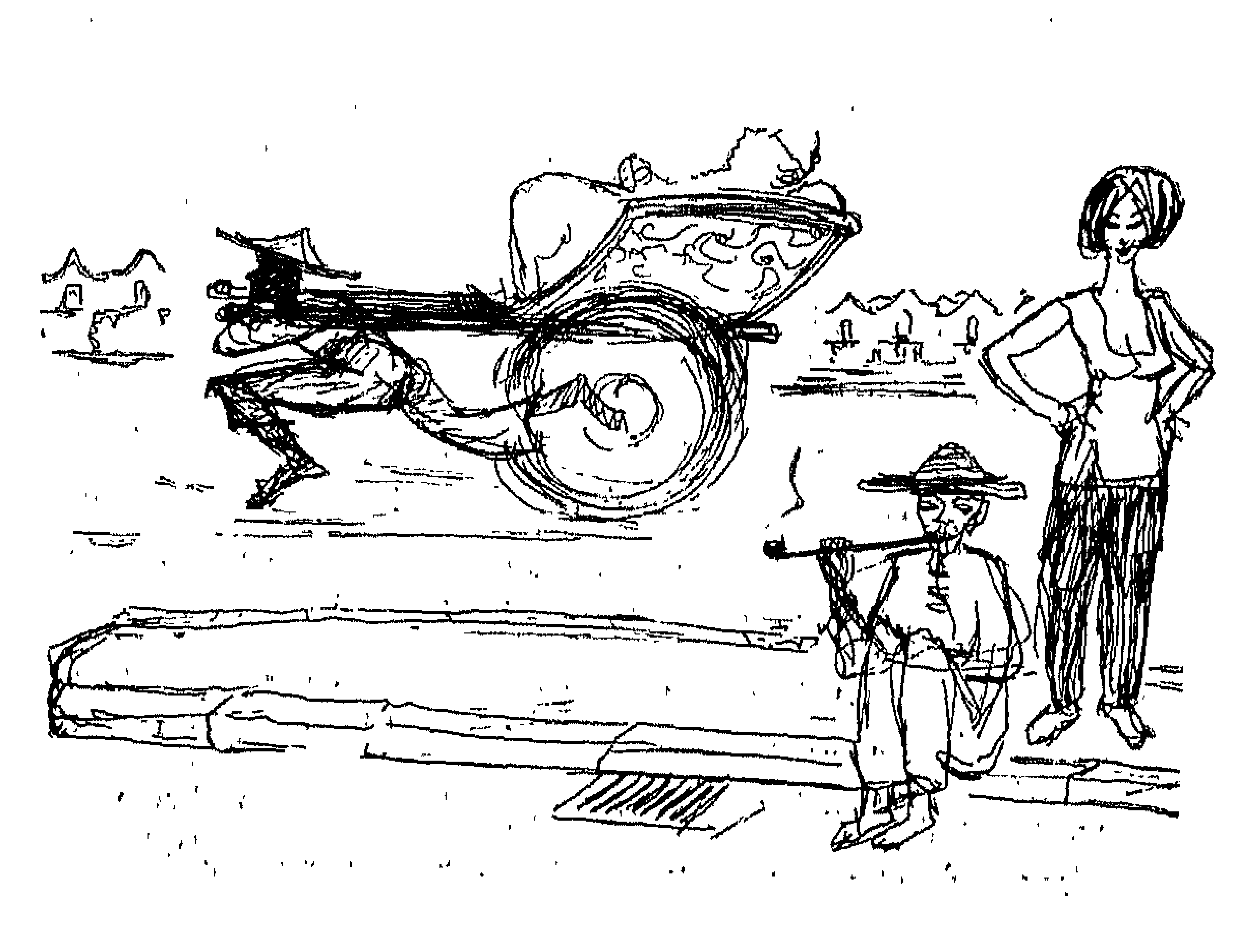
وقلت يا سبحان الله ٠ أنا فعلا كنت أظن أن البنت اليابانية معجبانية وحلوة وناعمة كما قطعة السكر ٠

ولكن ها هى البنت اليابانية أمامى ٠ فى المصنع شغالة ، فى الشارع ماشية ، فى المحل واقفة ، فى المطعم منتظرة ، ولكنها ليست حلوة وليست ناعمة ، ومثلها مثل السمكة الشال ترقص وتلعب وتتقصع ولكن لها شوك اذا لدغت به واحد مثل حضرتنا فيانهار أزرق ومعجون بالنيلة ! وقلت أحسن شىء أمشى من اليابان بكرامتى ٠

لو أنا شباب مثل زمان ٠ لو أنا فتوة مثل ليستون ٠ لو أنا شجاع مثل جاجارين ، لفعلت المعجزات ٠ ولكن حكمة الله اننى لست واحدا من هؤلاء ، وحكمة الله أيضا اننى غلبان غلب القبيسى ، ضعيف ضعف نزلاء مستشفى الدمرداش ولكن الناس تنخدع فى العبد لله ، وآهو الصيت ولا الغنى ، وأنا صاحب صيت وكفى الله المؤمنين شر القتال ٠ وقلت وداعا يايابان ٠ فأنا ذاهب الى هونج كونج ، وهى الاخرى لها فىذهنى صورة ، صورة اخذتها من افلام هوليود ، وبعض القصص الهايفة ٠٠ وهى فى ذهنى مدينة بلا قلب ٠ الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود ٠ واننى فيها ضارب أو مضروب ، ومادام الحال هكذا فانا اذن مضروب ومصكوك ٠ ووضعت يدى فى جيبى اتحسس المسدس الخشب الذى اشتريته لحضرة ولدنا أكرم ٠٠ ورفعت شعر رأسى ، أقصد فروة رأسى اذ لم يعد فى فروة رأس حضرتنا شعر وقلت جودباى توكيو ٠٠ فأنا ليس من حقى أن أقول طوكيو ، بعد كل ما رأيت وعانيت من ستات اليابان ٠٠ ورغم اننى مرضت وتدعبلت ونمت فى هونج كونج أشكو الحمى والصداع ٠ رغم العيا والبلا الا أنه لايزال على طرف اللسان كلام ٠



نشوفها من فوق نندهش . .
نشوفها من جوه نحترق . . !



الله عليها من فوق آخر حلاوة وآخر طلاوة ·· وشيء يشبه نيويورك وبالميت خالص يشبه مدريد ! ناطحات سحاب تبدو من الجو ، وشوارع مستقيمة ، وجبال تكسوهاالثلوج ، وروابى خضره ، وقصور آخر هوسه وآخر جو ! وعندما تهبط بك الطائرة وتنزل على الارض تصاب بالقرف وتصاب بالدوار · رائحه ولا رائحه بيت الاسد فى جنينة الحيوان ·· وبيوت مثل العلب ، وغسيل منشور فى بلكونة ، غســـيل يقرف الكلب الجربان ·· ورائحة طعام اؤكد لكم لو ألقاه أحد لكلب صايع لانسعر فى الحال واندار عقر فى خلق الله ! وفى سفوح الجبل عشش ولا عشش الترجمان ·

ثم مدينة عايمة عند الشاطيء · مراكب قش ومراكب خشب ومراكب خيش ومراكب والسلام ،وفى المراكب تعيش النسوان والاطفال ·· وفى المراكب محلات بقالة ومحلات جزارة وقهاوى ونوادى للقمار ·· ولكنها نوادى من باب الدلع ، وقمار ولكن بملين ، ومقامرين ولكن شيء يغم القلب الفرحان « وهذه اسمها كاولون شبه جزيرة متصلة بارض الصين ، والقطار يقوم من محطتها وبعد ساعتين يكون فى محطة كانتون ·· هى اذن أرض صينية ولكن الانجليز هبروها واستأجروها بكذا ألف جنيه كل عام تماما كما يستأجر أحدنا شونة أو خرابة أومغلق خشب زان ·· ولكن انجلترا اللئيمة لم تدفع ملين أحمر منذ سنة ١٩٤٨ لان ثورة الصين انتصرت فى ذلك العام ، واصبح فى العالم صينان ، صين ماوتس تونج ، وصين كاى شيك

التعبان ! وبالطبع وقعت انجلترا فى مأزق وبالطبع واجهت مشكلة .. فلمن تدفع الايجار الآن ؟ للصين الشعبية أم للصين الوطنية ؟ . وبالطبع لم تجد انجلترا جوابا على هذا السؤال؟ وأيضا لان انجلترا صديقة للطرفين ، ودفع المبلغ لطرف واحد دون الآخر ، عمل من شأنه أغضاب الطرف الذى لم يقبض !! وبالطبع انجلترا دولة ناعمة ودبلوماسية ، وهى شديدة التمسك ، بالعلاقات الدولية ! وهى أيضا دولة قانونية . ودفع الايجار للمالكين ، عمل ضد قانون الايجار العام والايجار الخاص والايجار الدولى ، ولما كانت انجلترا حريصة كل الحرص على أن تكون دولة مجاملة . وحريصة أيضا على أن تظل دولة قانونية . فقد اكتفت فى النهاية بالصمت والبلطجة وامتنعت عن الدفع المباح حتى يطلع الصباح ! ولكن الصين الشعبية سكتت هى الاخرى وصهينت تماما ، واكلت المسألة بمزاجها .. لان الصين لو ارادت كاولون وغير كاولون ، لامرت أحد عساكرها على الحدود بأن يسرف فى تدخين السجائر وأن يكح كحتين فى الليل ، وبالطبع لن تجد فى الصباح أى انجليزى فى المنطقة كلها بسبب كحة حضرة العسكرى الصينى المهاب.. ولكن لماذا صهينت الصين عن كاولون مع انها تستطيع احتلالها دون أن تطلق طوبة ؟ السبب أن هونج كونج كلها تعتبر بنك للصين . فى العام الماضى بلغت حصيلة الصين من العملات الصعبة ٨٠٠ مليون جنيه من هونج كونج .. السبب أن هونج كونج هى المكان الوحيد فى العالم الذى يشترى منه

الأمريكان . والسبب أن الامريكانى عندما يسوح فى فرنسا يشترى زوائح وكرافتات فقط ، وفى انجلترا يشترى بلوفر صوف.. وفى ايطاليا يشترى حذاء ، وفى مصر يشترى طبق صدف ، ولكن فى هونج كونج يشترى الامريكانى كل شىء .. أولا لان كل شىء فى العالم موجود هناك .. وثانيا لان كل شىء بسعر التراب ، وأرخص شىء هناك منتجات الصين الشعبية .. وفى البداية كان الامريكانى يحجم عن الشراء لدوافع قومية ووطنية وعنجهية .. ولكن اغراء السعر جعله يغطرش ويشترى كل

شيء ·· ومعظم فلوس الصين الشـــعبية دولارات ، والذين يدفعوها أمريكان ، ربما كان بعضهم عساكر حملوا السلاح يوما ما ضد الصين فى كوبا · ولكن الصين التى تحارب بذكاء التـــاجر ، وتتاجر بحماس المحارب ، ارغمت الامريكان على الركوع فى السوق ·· والصين تنتج كل شيء وأى شيء ·· وهى تأخذ الشكل المعروف والماركة المشهورة ، وهات ياانتاج ويا تصدير ·· وفى هونج كونج ترفع الصين الشعبية اعلامها وتعزف نشيدها ، وترفع كلمات ماوتس تونج بالشمال وتقبض دولارات أمريكا باليمين ·· وما أقرب هونج كونج من الصين ، وما أبعد الفرق بينهما ·

··غم أن هونج كونج على مرمى حجر من الصين ، الا أن كل ما يدور هنا عكس ما يدور هناك ·· فى هونج كونـــج المكاسب للوســيط · السمسار يكسب أكثر من العامل ، والتاجر يكسب أكثر من الســـمسار ، والتاجر ســمسار أيضـــا ولكن على أكبر ·· والذى يتـاجر فى الحـرير وفى الفلوس وفى الحديد ، يتاجر فى الاعراض ·· وهى أيضا لها سوق تشترك فيه أغلب دول العالم ·· فكل صنف موجود ماعدا ـ والحمد لله ـ الصنف العربى ·

والناس فى هونج كونج صنفين ·· أما واقع على الارض مش لاقى يهرش ولا يحلق ·· واما بنكير يلعب بالفلوس لعب ·· التقيت فى كاولون بصينى عجوز ، لعله موجود منذ عهد أسرة مانشو ·· لباسه بنطلون قديم وفانلة مشجرة ، ولحم بطنه باين ·· أقصـــد لحم بطنه من الخارج لا من الداخل ·· فهو يبدو لم يأكل شيئا منذ عشرة أعوام ·· ولكن منظره وهـو جالس على الارض ولا منظر تركى قائد طابية ! ولا معتمـد بريطانى أيام الخديوى توفيق ! والراجل مســطول سطلة ينى مبسوط كأن القيامة قامت وظهر اسمه فى كشـــف ســكان الجنة ·· ورائحة الافيون تتصاعد من فمه الى السما السابعة وهو تاجر أيضا ولكن تاجر ليل · وبضاعته جاهزه ومستعدة وعلى كل لون ·· صينية طعمه ، انجليزية معصعصة ، طليانية مبطرخة ·· فرنسية مناخيرها فوق ·· والسعر حراق والرجل

الصينى لا يساوم ‥ ليس لديه وقت للمساومة وليس لديه بال للحساب ‥ صينى من بقايا عصر كاى شـــيك ، وفى داخله تجسدت كل مساوىء النظام القديم ‥ أغرب شىء أنه فر من كانتون عقب نجاح الثورة ‥ وجاء الى هونج كونج يحلم بالحرية والعزة والمجد التليد ‥ ولكنه انتهى الى الوصيف يجتر مع الافيون ذكريات الماضى الذى ولى ، ويحلم من خلال السطل بعالم آخر يختلف عن العـــالم الذى يعيش فيه ‥ والرجل المسطول المأفون ليس وحده ‥ فى هونج كونــج مليون صينى يعانون نفس المحنة ويلقون نفس المصير ‥ مليون صينى يسكنون العشـــش ، فاذا جاء أعصـار أطاح بالعشش واطاح بالســكان ‥ ويعملون فى كل شىء هابط وحقير ‥ من أول جر الراكشا كما البغل الشقيان ، الى تجارة الليل ‥ وهم جميعا هـاربين من الصـــين فرارا من الكبت والعبودية « كذا !! » الى الحرية وحيث الفرص متاحة للجميع . ولكنهم اكتشفوا أن الصعود فى مجتمع مفتوح يشبه الربح فى سباق الخيل ‥ خمسه يربح كل منهم مائة جنيه ‥ ولكن بشرط أن يخسر مائة رجل خمسمائة جنيه ‥ اذن هى حسبة برما ‥ لكى يرتفع خمسة لابد وأن يركع خمسمائة ‥ ولكن لماذا لاتعود الى الصين أيها الصينى المسطول ؟ أعود ؟ . اننى لو عدت لاجبرونى على العمل ‥ وأنا رجل لاأحب أن أعمل ‥ صحيح العمل يوفر لى الشرف ‥ ولكن من قال اننى ابحث عن الشرف ؟ اننى فى الحقيقة ابحث عن الترف ‥ ولكن أين الترف أيها المسطول؟ لقد فقدت الشرف والترف معا ‥ لا ‥ لا يزال فى العمـر بقية ، وهو صحيح فشل ولكنه فشل حتى الآن ‥ ولكن من يدرى ؟ ربما استطاع أن ينجح يوما ‥ المقامر يخسر كل نقوده ، ثم تاتيه ضربة حظ فى آخر لحظة فيعوض خسارته ويكسب عدة آلاف ‥ هو اذن منتظر ‥ ولكنه فى انتظـار جودو الذى لن يحضر على الاطلاق ‥ فهذه المدينـــة هونج كونج مساحتها قدر مساحة حديقة حيوانات لندن ‥ وحديقة لندن تتسع لالف حيوان ولكنك وضعت هنا ثلاثة ملايين وحش ‥ وستتصارع كل الوحوش لكى تحصل على مكان ‥ وبالطبع سيرتفع من الوحوش من هو اكثر وحشية ، وسيهبط

الوحش الذى يخسر المعركة ٠٠ ولكنه لن يترك الحديقة ، لان طبيعة الوحش الكامنة فى أعماقه ستجعله فى انتظار أن تنمو مخالبه يوما ليعـــاود الصراع من جديد ٠٠ ولكن هذا الذى يراه الصينى منطقيا من خلال السطل لم استطع أن اتبينه على الاطلاق ٠٠ فلقد انتهت المعركة فى هونج كونج من زمان والذى ربـــح يجلس على القمـــة ، والذى خسر يجلس على الرصيف ٠٠ ولكن ليس معنى هذا أن كل الذين خسروا معركة الحياة فى هونج كونج قنعوا بالاحلام على الرصيف أو بالصمت فى العشش ٠

وهناك وحوش اخرى اكتشف انها خسرت المعركة فعلا ، وانهم فى حاجة الى معركة أخرى ولكن خاطفة ٠٠ بحيث تتم المعركة فى دقائق ، فاما شـعلقة فى القمة واما شـــعلقة فى الحبال ٠

ولذلك ما اكثر العصابات المسلحة فى هونج كونج ٠ ولذلك أيضا ما أكثر الحراس المســـلحين فى هونج كونج ٠ على كل محل جواهرجى أربع شحوطه ، كل شحط يفتح بلد ، ومع كل شحط بندقية من نفس النوع الذى كان يستعمله عسـكر الفرنساو ضد عسكر المملوك ٠

وأغلب الحراس هنود من طايفة السيخ، طوال القامة عراض عرض شارع رمسيس ولهم شوارب وذقون ولا الجدع عنتر ٠ ولكن محلات الصـــين الشعبية يحرسها فتيان من الحرس الاحمر ٠٠ ومعهم بنـــادق سريعة الطلقات ! أما محلات عمنا كاى شيك فيحرسها جنود من سن الاخ كاى ٠٠ وعجبى على رأى صلاح جاهين أن فى ملة بوذا البنات مثل العيال ، وحقوق البنت مقدسة ومقدمة على حقوق الواد ٠

والبنت فى هونج كونج مدرسة ومرشدة سياحية وبائعة أنتيكا ومراكبية وكناسة فى البلدية وتلميذة وربة بيت ٠٠ ولكن البنت فى هونج كونج أيا كان موقفها وموقعها ٠٠ فهى فى الليل غير النهار أنا رأيت بنت فى الخامســـة والعشرين صينية حلوة أبوها هربان من صين الثورة ، وهى متزوجة من ولد صينى أبوه كان شيخ تجار الجواهر فى شنغهاى ٠ فلمـا

سقط السادة فى الصين وهربوا الى هونج كونج لم يكن هناك مبررا لوجوده فى شنغهاى ، خصوصا وبضـــاعته ليس لها سوق الا فى مجتمع يقتنى بعض افراده الذهب ويقتنى بعض أفراده الجوع • البنت التقيت بها فى كافتيريا هيلتون فى هونج كونج •• وبخت الخواجا هيلتون أن زوجة مدير اللــــوكاندة مصرية ، ونائب مدير اللوكاندة ابن بلد من اسيوط • سألت البنت فى الليل ، لماذا تلعب بديلها ما دامت متزوجة ومبسوطة وآخر مزاج ، وردت البنت اللعبية : لا شىء فى هذا الامر •• انها مجرد لعبة لتجديد الحياة !

ولذلك بنت الهوى فى هونج كونج ليست بنت هوى وبس ، ولكنهـــا بنت هوى وبنت ناس • حتى التلميذة فى المدرسة تسرح بالكتب فى النهار وتسرح بالمينى جيب فى الليل • فلا شىء عجيب فى هونج كونج ، ولا شىء حرام مادام يؤدى الى المكاسب والفلوس •

ولذلك ســـتجد فى هونج كونج بيوت مظهـرها محترم وداخلها شىء لا يجوز • واعجب شىء أن اصحاب هذه البيوت رجال أعمال ورجال أموال ورجال نفوذ • وفى هذه البيوت تستطيع أن تفعل أى شىء وكل شىء تنسطل جايز ، تسكر ماشى ، تدوخ مفيش مانع •• ترقص مفيس بأس وكل شىء على ما يرام •

ولكن ليس هذا هو الشىء الموجود فقط فى هونج كونج • هناك أيضا ستجد ثوار اصحاب قضية ، ومتمردين اصحاب مطامع • بعض الحالمين يعيشون فى هونج كونج على أمل رجوع كاى شيك الى شنغهاى •

وهم لا يحلمون فقط ولا ينتظرون بس •• ولكنهم أيضا يعملون فى الخفاء • يطبعون منشورات هايفه •• ويجندون عملاء اهيف •• وبالطبع سيطول انتظارهم لان كاى شيك لن يرجع ولن يعود ، وهناك ايضا ثوار . وأنا رأيت أحدهم وهو من جزيرة ماكاو ، وبينها وبين هونج كونج أربعين ميل بحرى والجزيرة تحكمها البرتغال وممنوع دخولها على العرب والهنود والباكستانيين والصينيين ! أبوابها مقفولة فى وجه كل من

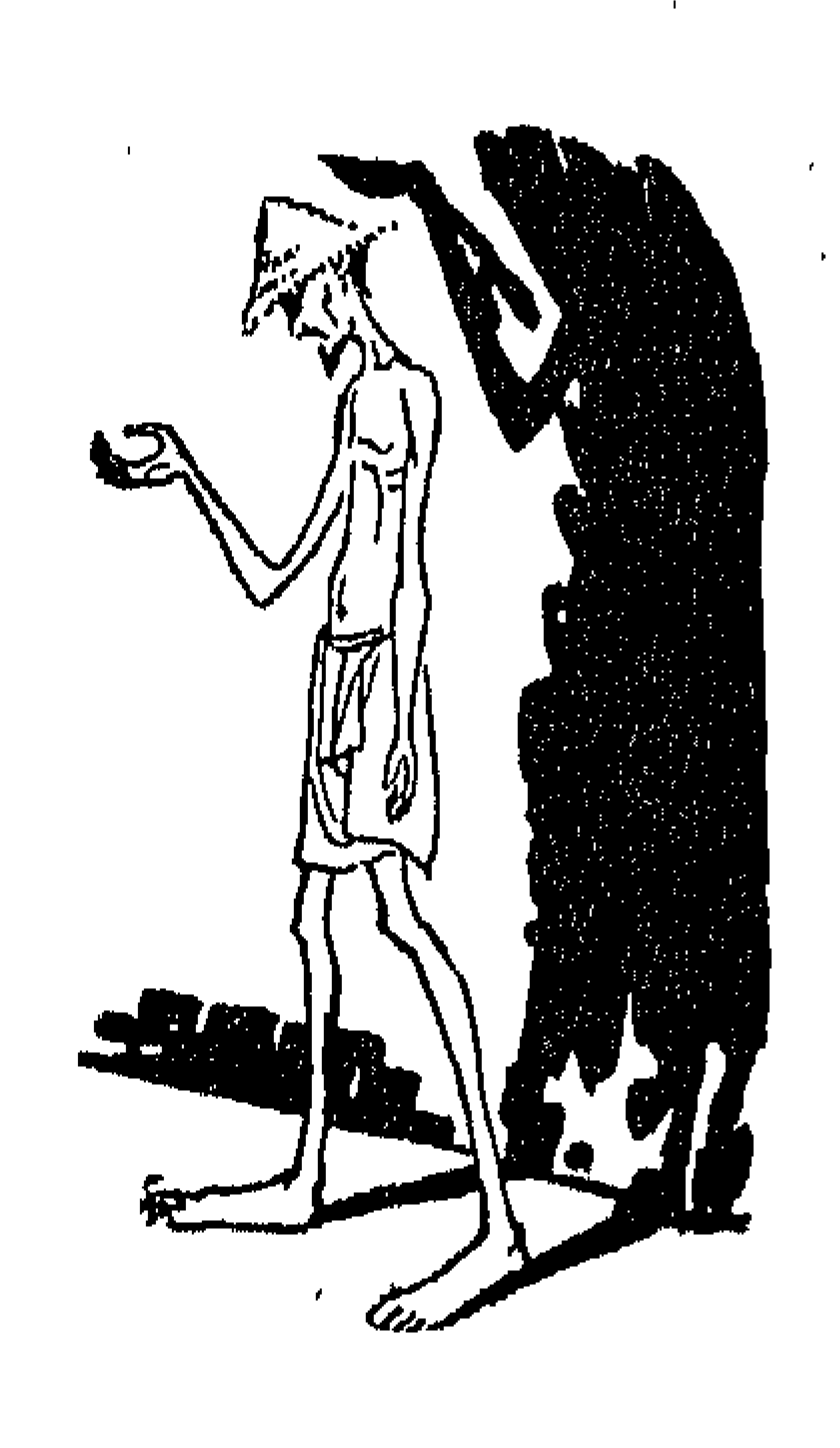
يرفع صوته بالاحتجاج ضد البرتغال ، ويلقى فيها الافريكان حتفهم جـزاء وقوف دولهم مع ثوار انجولا وموزمبيق ، وهى جزيرة حلوة ولكن حولها البرتغاليين الى كازينو للقمار٠وانت تستطيع أن تلعب فيها القمار ٠٠ كل أنواع القمار ، وفى أى وقت من أوقات الليل والنهار وفىالجزيرةسبقخيل وسبق كلاب وسبق حمير وسبق سمك وسبق براغيت وأى شيء يتحرك على الارض أو يطير فى الجو له سبق وعليه رهان فى ماكاو ٠
ولقد كنت اتمنى أن ارى ماكاو فقد عشقتها على البعد والسبب عمنا سـومرسـت موم ٠ فقد عاش الـكاتب الانجليزى فى الشرق الاقصى وانبهر بما رآه هناك ٠ وطبع الشرق الاقصى بصمات أصابعه على نفسـية الكاتب وطفحت نفسـيته على سـن القلم فكتب اعظم اعمـاله عن الشرق الاقصى ٠ وأحسن ما قرأت له من قصص قصيرة كان عن ماكاو ٠ حكاية رجل أبيض ضاع فى تلك المجاهل البعيدة وبعد أن كان وردة زمانه وأوانه أحب امرأة شخصيتها لامعة ونفسها صـايعه واكتشف بعد فترة أنها تخدعه فهرب الى الافيون يدفن أحزانه فيه ، ورق له قلب امـرأة صينية غلبانة فتفرغت لتمريضـه وترويضه حتى مات !

ولكن ماكاو رغم انها كانت على مرمى البصر الا أن دخولها كان اصعب من الصعود للقمر ٠ ويا سبحان الله الولد الثائر الماكاوى ــ وهو لا علاقة له بسيد مكاوى ــ كان شديد الثقة فى أنه سيعود يوما الى ماكاو ٠ ولقد سبق له دخول ماكاواكثر من مرة وفىكل مرة كان يدخل السجن ليهرب مرة اخرى ليعود من جديد الى سجن ماكاو ٠٠ ومع ذلك فهو شـديد الثقة أنه سيعود يوما وقد رحل عسـاكر البرتغال ٠ السـبب أنه نجا باعجوبة من مجزرة الافيون التى تنصبها السلطة للثوار فى ماكاو ٠ ولقد روى الولد الثائر حكاية يشيب لهولها الغراب النوحى ويموت لهولها الطفـل الرضـيع بالسـكتة وفى حديثنا التالى نروى لكم حكاية رجل ماكاو ٠

◆ المرء يتمنى أن يعيش فترة في مكان مثل هذا .. لا قوانين تحكمه ولا حكومة تنظمه ولا شيء يهدى الناس فيه الا المزاج ! ◆



عادت من جديد فى ماكاو ...



كالسل يصبح الاستعمار درجات . واستعمار البرتغال سل من الدرجة الثالثة . هذه الدولة الخنفسة ، التى كان لها فى الماضى نصف العالم بفرمان من البابا ذاته . والتى أول من بدع خطف العبيد وبيعهم فى السوق ، الدولة الخنفسة تتضاءل الآن ، ولكنها تمسك بالاظافر والاسنان على ماتبقى لها من أرض فى أرض الله . وهى لم يعد لها الا مجموعة جزر . ومجموعة جيوب . وقلب افريقيا لاتزال تمسك به فى يدها .

وهى تمارس ضد أهل البلاد المحتلة أبشع أنواع القمع ، تعلق الثوار على الاشجار .. تربطهم فى ذيول الجياد ، تكويهم بالنار ، تغرقهم فى الانهار ، ولكن أعجب وأغرب وسيلة تطبقها البرتغال فى ماكاو .. الولد الثائر الماكاوى العجيب حكى لى وعيناه تطق شرار ، كيف تمارس البرتغال تعذيبها لثوارماكاو وفى السجون عشرات من الثوار ، وهى لاتجلدهم بالسياط ولا تكويهم بالنار . على العكس ، هى تسحقهم بالمزاج . وفى كل صباح يمر طبيب على الزنازين يحقن الثوار حقنة أفيون ليصبح الثائر آخر انسجام وآخر انسطال . والطبيب يمر فى كل يوم ويزيد الجرعة كل يوم ، ليتحول السجين بعد عام الى مدمن لايستطيع أن يتحرر من الداء . وبعد أن يصبح المسجون آخر تمام ، تفتح له السلطات باب السجن ليتفضل مع التحية والاكرام ويتحول الذى كان ثائرا يوما ما الى مدمن صايع يتجول طول النهار فى الجزيرة بحثا عن نفس يشده أو سنة أفيون يدسها تحت لسانه وينام ! وأحيانا عندما يفشل الثائر الصايع فى الحصول على الكيف اللعين يعود الى السجن بقدميه ،

متوسلا للحراس أن يسمحوا له بالدخول لينسطل وينبسط وينام ! الولد الماكاوى الثائر كان واحدا من هؤلاء اختطفته السلطة ووضعته فى السجن ، وجاء الطبيب فى الصباح ، وفتح الحارس الزنزانة ليكتشف الولد الثائر أن الطبيب شاب من أهل البلاد ، وزميل دراسة ، ولكن الشيطان وحده هو الذى ساقه ليعمل فى خدمة الطغمة الحاكمة فى البلاد . وبعد السلام والكلام بدأ حوار بين الولد العاقل والولد العاق حوار انتهى بأن أصبح الطبيب واحدا من الثوار .. ولكنه لم يهتف ولم يصرخ ولم يرفع شعارات . مضى سيرته الاولى بالتمام والكمال . كان يحضر كل صباح الى السجن . وكل صباح يحقن الثوار ، ولكن بحقن فيتامينات . وعلى الثوار أن يمثلوا دور المسطول المبسوط الدايخ دوخة الكلب السعران . وبعد عام فتحت السلطة باب السجن وأفرجت عن المساجين العظام . ولكنها سرعان ماااكتشفت اللعبة عندما فر هذا الفوج من المساجين عبر البحر الى الخارج ، ووقع أحدهم فى يد السلطة ليعترف تحت وطأة التعذيب القاتل بكل شىء . أما الطبيب الثائر ، فقد ساقوه الى السجن ، وأذاقوه من نفس الحقنة ، وهو الآن حطام بنى آدم يتسول عند المينا من السادة السواح ثمن حقنة أفيون أو هبرة كوكايين أو نفسين يجعلوه يكف عن الصياح ! ولكن هل البرتغال وحدها هى التى اكتشفت أن الافيون هو أقصر طريق لتدمير الثورة وتدمير أرواح الناس . لا .. لقد اكتشفها كل الذين صناعتهم الاستعمار . قبل ذلك بأعوام طويلة شنت دولة بريطانيا العظمى حربا أعظم لكى تبيع الافيون فى الصين . والآن بلا حرب تبيع بريطانيا العظمى الافيون لكل مستعمراتها فى الشرق البعيد ، وكذلك تفعل أمريكا هناك . ولكن الاساليب تختلف . فبينما البرتغال الغشيمة تفعل كالرجل الغشيم الذى اشترى دواء لقتل البراغيث بشرط أن يمسك بكل برغوث على حدة ثم يسقيه الدواء !! تفعل أمريكا وبريطانيا شيئا يتفق مع عصر القمر والكواكب والفضاء . تقضى على البراغيث كلها مرة واحدة ، وباللطف والظرف والتراضى والاتفاق . ففى هونج كونج مثلا ، الناس صنفان . أما حافى لا يجد ما يأكله ، وأما باشا يلعب لعبا بالدولار . والثوار نبت شيطانى ، أحيانا يهب

من الطبقة التى تحت ، وأحيانا يطلع من الناس اللى فوق • وما دام الاحتمال قائم انهم يخرجون من بين الشـــعب ، فليحقــن الشعب كله بالافيون وليصبح الشعب كله آخر مزاج ولـذلك سترى عند الشاطىء مواخير والناس فيها على ودنه • الفقــير الدقه يريد أن يهرب من هذا العالم الكئيب الى عالم آخر بهيج ولذيذ ! والباشا الذى يلعب بالدولار يريد أن يضاعف انبساطه وأن يجعل نفسه ترلم لم على الآخر • الافيون اذن هو لعبـــة الطرفين ، ولكن البرتغال تعطيه للناس بالعافيـــه ، والانجليز يقدموه للناس فى قعدات طرية وعن طريق غير مباشر يجعـــل المدمن يتصور انه هو الذى قرر وهو الذى اختـار ! أنا دخلت ماخور من هذا النوع أتفرج ، الناس كأهل الـــكهف يتعاملون بنقد ليس له قيمة هذه الايام ، ولو كان الذى معهم عملة لهـان الامر ، ولكن معهم أفكار أكثر قدما من نقد أهل الكهف ، وأكثر تمزقا من ملابس الرجل الشمام ! ويفتح المســطول الهــونج كونجى عينيه على قطع الاسطول الامريكى تدخل الميناء ويفشـخ بقه عن ابتسامة رضا وامتنان • فهذا الاسطول الامـريكى هو الذى يحمى هونج كونج من خطر الصين ، وهـــو الذى يهب الحياة والخير للناس المساطيل ! فى الماخـــور أنا اكتشفت بنت بيضاء أقصد كانت يوما ما بيضاء كاللبن الحليب • ثم أصبحت فى النهاية صفراء كفانلة النادى الاسماعيلى • والبنت عينـاها كعينى ميت داس عليه الترولى باس •• وشعرها كشعر فـريد شوقى قبل أن يستعمل الشعر المستعار ، وهى نحيفة كمعـزة جعانه جوع الابل ، وهى تكح عمال على بطال ، وهى أفيونجيـة وسيكوناجية وشمامة تشم حتى روث الخيل وبول الكلاب ! وهى جاءت الى هونج كونج منذ عدة أعوام • وفى البـــدء كانت كما الزهرة وكما الوردة • زوجها كان رجلا أبيض ولـــكنه مدمن قمار • وقامر بكل شىء ، ثم كف عن القمار ودخـــل فى زمرة التجار ، ولم يجد مايتاجر به الا عرضها • وعرفت الليل وأكلت أرصفة هونج كونج راقات من عقلهـــا • ثم اختفى الزوج ذات صباح بالكنز الذى كانت تعمل لتدخـره ، ثم اكتشفت انه لم لم يفر ولكنه توارى عن الانظار ، وانه لم يكن يدخر شيئا ولكنه كان يلهف عرق عرضها ليحظى بلحظات نشوة على موائد القمار

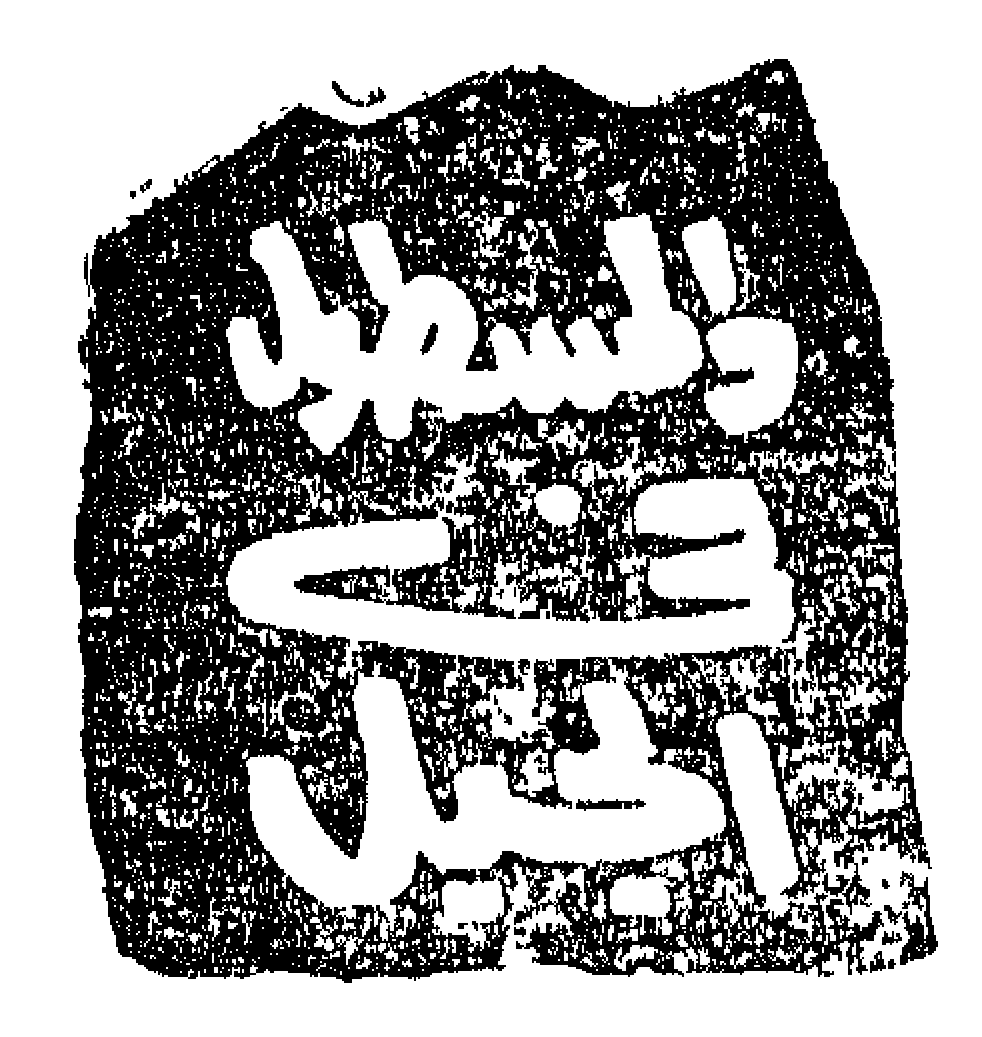
وجنت المسكينة فعكفت فى الماخور توزع الكيف على الزبائن ، وتأخذ نصيبها من الكيف وتنام ·· والسلطة فى هونج كونج تعلم وتكتم وتبارك الجميع وتتمنى لهم مزيدا من الغيبوبة وكثيرا من الانسطال ! ولم تكن البنت البيضة هى البيضاء الوحيدة فى المواخير المنتشرة عند الشاطىء ، كان هناك بيض آخرون · رجل مثل ذكر جاموس وحشى عجوز ، كان يوما ما ملك شنغهاى · كل البيوت التى كانت للحظ والمزاج فى عاصمة الصين كانت تتبع سعادته · وكانت حساباته فى البنوك مثل حسابات الخواجا فورد · وكان يستورد لحما أبيض من كل أرجاء المعمورة · ثم عبر الشيوعيون النهر ذات صباح ودخلوا شنغهاى · ليهرب الخواجا بجلده الى هونج كونج ولم يبق له من أيام العز القديمة الا برنيطة مثل برانيط رعاة البقر فى سهول المكسيك وساعة جيب قديمة يقسم الرجل برأس أبيه انها هدية من رجل صينى ثرى أمضى عنده ليلة مزاج ليس لها نظير · والرجل دائما فى غيبوبة ودائما يهذى بكلام فارغ كثير · وهو لايفيق الا ليسطل ولا ينسطل الا ويسأل الله ألا يفيق ! ولا يزال الرجل يحلم بالعودة الى شنغهاى كلما فتح عينيه · وأحيانا عندما تشتد به نوبة جنون مفاجئة يخرج ليشاهد حدود الصين · ويظل يصرخ ويتوعد ويهدد ويضرب الهواء بقبضة يده المرتعشة ، ثم يعود الى الماخور آخر سعادة وآخر انبساط ·

ومع ذلك فهونج كونج ليست شرا كلها ، وليست غم أزلى على الدوام · والمرء يتمنى أن يعيش فترة فى مكان مثل هذا لاقوانين تحكمه ولا حكومة تنظمه ولا شىء يهدى الناس فيه الا المزاج الشخصى والتقدير الفردى لما ينبغى أن تكون عليه الامور ،

كل انسان فى هونج كونج حكومة مستقلة · التاجر مثلا يستطيع أن يرفع السعر اذا أراد وأن يخفضه اذا شاء · وكناس الشارع بوسعه أن يكنس وبوسعه أيضا أن يكف عن الكناسة فى أى وقت يشاء · والمينى جيب يختلف عن المينى جيب فى أى بلد فى العالم · واذا كان المينى جيب فى لندن أصبح تحت الصرة بقليل ! فهو فى هونج كونج بقليل جدا ! واذا كانت الأفلام فى باريس تعرض موضوعات تعالج الجنس ، فالسينما فى هونج كونج تعرض أفلاما جنسية · وكل شىء فى هونج كونج

موجود وكل شيء مباح ٠٠ الحشيش غبارة من ايران وزيت من الهند وكبس من بيروت ! والخمور ويسكى من اسكتلندا وفودكا من روسيا وريتسينا من اليونان ! وسوق العمالة يقبل أىورقة ملونة ومتداولة فى أى مكان على ظهر الارض ٠٠ وكل عملة ولها شبيه فى هونج كونج ٠ لعب الاطفال اليابانية يجيدون تقليدها بالحرف ويكتبون عليها أيضا صنع فى اليابان ٠ والآلات الالمانى يصنعونها فى مصانع النصب الهونج كونجى وعليها علامة الالمان والزبون يشترى ويدفع ثم يتبين بعد ذلك أنها نصب ٠ ولكنه لايتبين هذا الا بعد أن يكون قد غادر هونج كونج ، وهو عادة لايرجع ولا يعود ٠ وكذب أن هونج كونج رخيصة رخص التراب ٠ ربما كانت كذلك يوما ما قبل حرب فيتنام ٠ ولكنها الآن ولعة وأسعارها ولا أسعار باريس ٠ السبب انها فى كل يوم تستقبل عدة مراكب حربية قادمة من فيتنام وعليها عساكر جاءت لتقضى أجازة قبل أن تعود لاستئناف القتال ٠ وهؤلاء العساكر معهم فلوس كالرز ومعهم دولارات بعدد شعرات الرأس ، هى مجموع مرتباتهم خلال الشهور التى قضوها يقاتلون فيها وسط مزارع الارز وداخل الغابات ٠ وهم لان الاجازة قصيرة والفلوس كثيرة ، يبعثرون النقود ولا عمدة شطانوف فى موسم القطن ٠ وهم لان أغلبهم يذهب ولا يعود فهم يشترون أى شيء وكل شيء ٠ وهم يتذوقون كل لذة حتى لذة الكيف فى مواخير الشاطىء لانهم عندما يتركون ميناء هونج كونج يصبح لدى كل منهم شعور يبلغ حد اليقين انه لن يعود أبدا ٠ ان معصرة فيتنام الهائلة تأكلهم بلا هوادة وتزهق أرواحهم بلا رحمة ولقد كان آخر من التقيت به من البيض فى احدى المواخير شاب فى الرابعة والعشرين من عمره ، ضخم كما العون ٠ أبله كما عم بركه ٠ وهو زبون سقع فى الماخور ٠ بل هو أهم زبون ٠ وهو يأكل الافيون ويدخن الافيون ٠ وهو منبسط منسجم مسطول آخر انسطال ٠ وهو أمريكى من تكساس ٠ وهو عسكرى فى الجيش ٠ وهو هربان بعد أجازة قصيرة فى هونج كونج ٠ لانه رأى الموت بعينيه فى سهول فيتنام ٠ وهو عندما ينسبطل جدا يفتح قلبه بكلام كثير ٠ وهو هربان ليس لانه ضد الحرب بل هو معها ٠ وهو أمريكى حتى النخاع ٠ وهو يرى أن

الطريقة الوحيدة لكسب الحرب هى القنبلة الهيدروجينية • ولكن بهذه الاسلحة التقليدية لاأمل فى شىء • فهؤلاء الصفر لاينتهون • كلما قتلت واحد ظهر لك عشرة • وهم يقبلون على الموت بشراهة • والآسيوى الواحد يساوى عشرة أمريكان فى ساحة القتال • لان أحدا منهم لم يجرب أن يكون له بيت وسط حديقة • وفى البيت زوجة جميلة وثلاجة وغسالة وتليفزيون ! ولذلك فالحرب بالاسلحة المستعملة الآن لا تكون لها نهاية • بل هى تنتهى عندما ينتهى الامريكان لان هؤلاء الملاعين لاينتهون اطلاقا ولا وسيلة لقهرهم مثل القنابل النووية • وهو لذلك اتخذ قرارا لارجعة فيه • فهو لن يعود الى فيتنام الا اذا سلموه قنبلة ذرية • وهو لن يعود الى أمريكا لان المحكمة فى انتظاره • وهو لن يبرح الماخور لان البوليس الحربى يتعقبه • وهو سيدخن الافيون لان من خلاله يرى آسيا كلها تحترق بالنار والامريكى يغنى على أطلالها مثل نايرون على تلال روما ، مثل نابليون على أبواب موسكو ! ولكنه أحيانا يبكى بشدة • لاأحد يدرى لماذا ؟ ولكنه على أية حال أسعد بكثير من الذين ذهبوا الى فيتنام ! لان البكاء فى الماخور يختلف عن البكاء فى جحيم الحرب ! وهو حتما سيظل فى الماخور حتى يتحقق حلمه • ويوما ستحترق آسيا كلها بالنار • ولكنه لن يقف على الاطلال ويغنى بل سيبكى ويلطم على خديه بشقافة •• حزنا على الجيش الامريكى العرمرم الذى أكله الثوار • ولكن حظه سعيد أن هونج كونج ستظل الى النهاية بعيدة عن خطوط النار • وستكون آخر قلعة تستسلم وآخر أرض تتحرر • لان جميع الاطراف لهم مصلحة فى بقائها خارج حزام النار • وسيتحول البارود والرصاص المنطلق فى ربوع آسيا الى ذهب رنان يدخل جيوب بعض الناس فى هونج كونج ويتحول الى دخان أفيون يدخل عقول أكثر الناس هناك •


والأسطول
في
الجبل


الأسطول
في
البحر



هاأنذا على باب مطار هونج كونج أعجب مطار واغرب مطار على ظهر الأرض . الجبال تحيطه وتطل عليه وتخنقه ، والخليج هو امتداد الممر . والطيار الذى يخطىء الحساب أثناء التحليق فوق المطار سيصطدم حتما بالجبل ، والذى يخطىء الحساب لحظة الهبوط على الممر سيسقط حتما فى الخليج . لذلك الطيران هنا ينبغى أن يكون بحساب والهبوط بحساب ، ولذلك أيضا لم تحدث حادثة واحدة فى مطار هونج كونج . لانه عندما تكون المسألة سبهللة والبساط أحمدى ، والمطار فى العراء ومكشوف ومفتوح فلا جبال ولا حبال ومدارجه آخر امتداد فلا خليج ولا مليج . عندما تكون الامور حلوة الى هذا الحد يفقد الطيار الاحساس بالخطر . وفى حالة مثل هذة يحاول الطيار استعراض عضلاته ، يتشقلب ، يتمقلب ، يتدحلب ، يتسلحب ولكن الامر قد ينتهى بكارثة فتنكب الطيارة على جناحها وينكب الطيار على أم رأسه .

وبالطبع تنكب شنط الركاب وينكب الذى فيها .. أما الركاب أنفسهم فسينكب ورثتهم على مكاتب الطيران لاستلام التعويض والتفويض والذى منه وحكمة الاله ان وسائل المواصلات مثل وسائل الحياة درجات وطبقات . فى الترماى قد يسقط الراكب تحت العجلات .. ويموت وليس فى جيبه الا ثمن التذكرة وثمن رغيف عيش وسيجارتين .. ولكن محامى الشركة يجد ألف شاهد زور ، والكمسارى يستعين بألف واحد صاحبه . .والكل يشهد أن الراكب معتوه .. وأنه كان ينوى الانتحار وانه سقط مرة وفشل فى الموت .. ولكنه أصر فكرر السقوط .. وان الله أكرمه فى نهاية الامر ففاتت العجلات عليه

وارتاح وأراح .. ولولا العيب لحكموا على الراكب المقتول تحت العجلات بغرامة ، وربما جعلوه يكنس قسم البوليس عشر مرات فى الاسبوع .. لانه لايستطيع دفع الفلوس .. ويخرج السواق القاتل من الجريمة كما تخرج الشعرة من العجينة ويظل حرا شاهرا ترمايه على عباد الله فى الميادين وفى الشوارع !

أما فى الطيران فالامر مختلف .. لان الذين يركبون الطيارة هم الناس الألاجه آخر ألاطه واخر أناقه .. فعندما تقع الطائرة تصرف التعويضات على الفور وقبل التحقيق والتدقيق ، وقد يكون الراكب هو المخطىء وقد يكون السواق هو المجنون . لاشىء يهم على رأى احسان عبد القدوس .. المهم أن الالوف تصرف فى الحال .. وتنصب السرادقات على حساب الشركة وتخرج النعوش وليس فيها من الميت الا بعض الهدوم وبعض اللحوم .. وتعازى فى الجرايد وصور فى التليفزيون !.

وأنا لانى ذكى ولانى خارق الذكاء فقد لاحظت هذه الملاحظة الذكية . وسألت أحمد توفيق البكرى رئيس مجلس ادارة شركة الطيران العربية .. وكان معنا فى الرحلة وهو رجل طيب لم أسمع له صوتا ولم أسمع همسا ، وصحيح انه كان أول من يخرج من الطيارة وأول من يعود اليها ولكنه آخر من يأكل وآخر من يشرب وآخر من يطلب . أنا سألت توفيق البكرى لماذا فى الطيارة كل شىء فورى وفى الترماى كل شىء على مهله ؟ ضحك الرجل الهادىء الطيب وقال لان الطيارة أسرع من الترماى ! قلت لأ .. أنا أسأل ليه صحيح ؟ قال لان الطيران لايزال وسيلة خطرة من وسائل المواصلات . الناس لم تطمئن بعد الى الطيارة رغم اننا فى عصر الصواريخ .. لذلك ترى ناس مهمين جدا وعقلاء جدا يفضلون ركوب المركب أو ركوب السيارة . ولو فكر الراكب قليلا فلربما أحجم عن الركوب . هذا رغم أن حوادث الطيارات أقل من حوادث الترماى والمراجيح والصنادل . لذلك أيضا كان لابد وقت وقوع الكارثة أن تمحو الشركة المنكوبة آثارها على الفور .. فلو ان ورثة الميت فى الطيارة داخوا بين مكاتب الشركة ورفعوا قضايا أمام المحاكم فلربما وقف حال جميع الشركات ولم يركب فيها احد !!

قلت : أليس السبب أن ركاب الطيارة غير ركاب الترماى؟

قال : هذا نظام الطيران ولو ركب الطيارة صياع ينامون فى حديقة الاورمان !

ولكن هاهو مطار هونج كونج والبحر أمامي والجبل ورائي ٠ وفي البحر قطع الاسطول الامريكي تعوم على مياه الخليج كالدرافيل الضخمة وفي سفوح الجبال يعيش المسطول الامريكي والصيني والانجليزي ٠٠ آخر أحلام وآخر انسجام ٠٠ كأنما هونج كونج قد أصبحت مرآة العصر بكل متناقضاته ٠ ٠ الحديد الملتهب في البحر والفحم الملتهب في الجبل ٠ وقبل أن أرفع يدي لاقول وداعا ياهونج كونج ٠٠ تذكرت ثلاث رجال من مصر يعيشون الآن في الجزيرة التي أصبحت أعجوبة هذا العصر عمر شرف الدبلوماسي وقنصل مصر العام ٠٠ الرجل الذي لم تنسه عشرون عاما في وزارة الخارجية انه من نبت الريف وانه تربية حواري القاهرة ٠٠ والذي يسأل كل من يراه عن سلطانية طرشي بلدي ٠٠ والذي أحسست وأنا في منزله على أعلى ربوة تطل على خليج هونج كونج انني في منزلي بالجيزة وانني لم اغادر بعد أرض مصر ، والرجل الثاني ابراهيم راشد مدير مكتب الطيران العربية الذي جاء اليها من دار السلام والذي قضى في افريقيا أجمل وأحلى سنوات العمر ٠٠ والذي يكتب الشعر ويخجل أن ينسبه الى نفسه ٠٠ والذي في راسه مشاريع ضخمة وأحلام عظيمة ولكن العين بصيرة واليد قصيرة كما يقول ! والرجل الثالث ليس سفيرا وليس مديرا ولكنه رجل على باب الله أحمد سعد سليمان من عابدين بالقاهرة وربما لاتزال عائلته هناك ٠ كان بحارا على مركب بريطاني رست ذات مساء على خليج هونج كونج وكانت ليلة باردة وسوداء من شتاء عام ١٩٥١ ، وجاءت الانباء عبر الراديو ان القاهرة احترقت عن آخرها ، وأن دبابات الانجليز هدمت مدينة الاسماعيلية ٠ وثار الجدل حول الباخرة ، البحار المصري يتهم الانجليز ٠ والبحارة الانجليز يتحرشون بالبحار المصري ، وانتهى الجدل بمعركة وسقط أحد الانجليز جريحا في المعركة ونام البحار المصري ليلة في سجن هونج كونج ٠ وأقلعت الباخرة ذات صباح وليس عليها البحار المصري ٠ ٠وبعد أيام كان يواجه الجوع والتشرد في الميناء البعيد ، واضطر الى العمل شيالا في الميناء وصيادا للسمك على قارب صيد ٠ وتعرف الى بنت صينية أبوها يملك عدة قوارب للصيد ٠٠ وأحبت البنت التي من شنغهاي الولد الذي من عابدين ٠٠ وأحب الولد الذي من عابدين البنت التي ابيها يملك مراكب صيد ٠ ٠وتزوجا ٠٠ ومات الاب الذي كان

يملك مراكب الصيد وأصبح الولد الذى من عابدين صاحب المراكب وأصبح له من العيال خمسة ومن البيوت ثلاثة ومن المتاجر أربعة ومن الفلوس عدة آلاف ‥ ‥ وأصبح الولد الذى من عابدين يرطن بكل اللغات حتى الصينى ٠ وأصبح خبيرا بالمنطقـــة من كوريا الى سيام ‥ وأصبح له مكتب وبالمكتب عدد من الموظفين وعدد من السكرتيرين أحدهم انجليزى من نفس جنس البحارة الذين طردوه ذات مساء فى خليج هونج كونج ٠ ولكن الولد المصرى لايزال يحن الى حى معروف وشارع أبو السباع ورغـم مراكب وخليج هونج كونج لايزال يتوق الى سـهرة على مركب فى أرض روض الفرج ، فليس فى الدنيا أجمـــل من مصر ‥ والمصرى يأكل وهو مرتاح ‥ ولكنك لكى تأكل فى أى مكان آخر لابد لك من أن تعمل حتى الموت ٠ ٠وهو شغال على ودنه وكسيب تمام ‥ ولكن مزاجه ليـــس بالروقان الذى كان ! وياسلام على قهوة البرابرة فى شارع أبو السباع حيث كان يقرأ الشيخ رفعت مساء كل جمعة ومساء كل خميس ‥ وأبوطريفة بتاع الطعمية فى باب اللوق ‥ والمالكى بتاع اللبن فى الحسين ويا سلام على الصياغة فى شوراع القاهرة بعد نصف الليل٠ المصرى يضرب فى جناح الارض ويسوح فى أركان المعمـورة ولكن لاشىء فى الدنيا يعوضه عن تراب القاهــرة وعن فجـل القاهرة وعن ليل القاهرة الذى ليس له نظير !

الولد المصرى الذى التقيت به فى آخر ليلة فى هونج كونج حلفنى بميت يمين وألف قسم الا أنسى أن أقرأ له الفاتحة فى سيدنا الحسين وأن آكل له أكلة كوارع فى أى مســـمط فى شوارع القاهـــرة ‥ وأن أرســـل له ديوان بيرم التونسى واسطوانه للشيخ رفعت ‥ أما الاسطوانة فقد أرسلتها ، وأما الديوان فأنا اسأل المجلس الاعلى للفنون والآداب وأسأل السادة المتجعبذين على الكراسى فى مكاتب وزارة الثقافة على شط النيل ‥ أسألهم أين ديوان بيرم التونسى ؟ وهل كان بيرم التـــونسى فنان أم طعمجى ؟ وفى هـــذه الحالة أتوجـــه بالسؤال الى وزارة التموين !

المهم أنا رفعت يدى وقلت وداعا هونج كونج وداعا يا بلد لا تنام فى الليل ولا فى النهار ‥ وطارت الطائرة الضخمة ونفذت من رؤوس الجبال كما ينفذ الخيط من خرم الابرة ٠ وبعد نصف ساعة قال الطيار « على اليمين شاطىء فيتنام »

وألقيت نظرة على الشاطىء الملتهب الدامى ٠٠ هنا الجرح الآخر والجرح الاول على بعد آلاف الأميال فى فلسطين ٠٠ والجانى فى فى المنطقـــتين واحد ٠٠ فتوة العـــالم الــذى خـــرج من قمقم الحرب العالمية الثانية ٠٠ ٠٠ خرج بقنابله وغواصاته وطياراته يريد أن يفرض رأيه على العالم ٠٠ أحيانا يســدى النصيحة بالدولار ٠٠ فاذا رفضها البعض اسداها بالمدفع ٠ مبعوث العناية الالهية لهداية الناس الى الصراط المستقيم ٠٠ فاذا رفضوا نزل عليهم بهليكوبتراته وفانتوماته وهات ياحرق وهات ياطحن وهات يا ضرب ٠٠ ولكن حظ أمريكا المهبب انها جاءت متأخرة كثيرا ٠٠ ولو ظهرت أمريكا أيام نابليون مثـلا لكانت الآن سيدة العالم ولو كان هتلر نجح لنجحت امريكا الآن ٠٠ ولكن هتلر كان أقوى من امريكا وشعب ألمانيا كان مستعدا فعلا لحكم العالم ٠٠ ولكنه سقط بفضـل قوة الحلفاء ٠ ولكن لأن منطق العصر حكم على الامبراطوريات بالمـــوت ٠٠ وهـــاهى بريطاينـــا العظمى أخر امبرطوريات التاريخ تتسول اليوم من كل مكان لقمة ٠٠ وها هم أولاد لندن كلهم سود وأماتهم كلهـن بيض ٠٠ وها هو الجنيه الاســترلينى يتدحرج كما الجنيـــه الكونغولى ٠٠ ولعل امريكا أدركت أن الوقت قــد فات ٠٠ فانسعرت اكثر واتهبلت أكثر ٠٠ ولكن وحق جلال الله ســتأكل علقة فى فيتنام ولاعلقة حرامى فى جامع ٠٠ وستأكل علقة فى الشرق الاوسط ولاعلقة نشال فى مولد ٠

ويا هونج كونج وداعا ٠٠ ويافتنام قلبى مع ثوارك وقلبى على أمريكانك ٠٠ وأهلا بتايلاند ٠٠ أهلا بسيام ٠ بلد الناس الطيبين والقطط الحلوين ٠٠ وعن تايلاند لنا كلام يا حضرات السادة القارئين والقارئات ٠٠



◆ ولاية أمريكية ربما .. معسكر أمريكي يجوز .. ولكن بلد ؟ لا .. ليس هذا بلد يا بلد ◆

وعليكم السلام... في سيام



ها هى تايلاند أخيرا ، وبعد تسع ساعات طيران من اليابان، واربع ساعات من هونج كونج • والطائرات تقطع المسافة في ساعتين فقط ولكن طائرة مصر تقطعها في اربعة • لاننا لم نأخذ تصريحا بالطيران فوق فيتنام ولذلك تضطر الطائرة الى الدخول في الفضـــاء الكونى فوق البحـر وتلف حـــول فيتنام كلها ثم تدخل تايلاند دون أن تمر على فيتنام ! والعبد لله نازل من الطيارة كالوحش الاسير آخر تعب وآخر ارهاق وآخر مرض فقد احتقنت اللوز وانسد البلعوم ، وجابت داغى حقنة الكوليرا فارتفعت حرارتى وتفككت مفاصلى ، واصـبح حالى حـــال ! القميص فوق البنطلون والبنطلون نازل على الجزمة ، والدنيا حر ولا حر قنا وقنا عذاب النار على رأىحفنى ناصف •

ولكنه شىء لا يصدقه عكل على رأى الست شويكار ، عندما اكتشفت أن في المطار استقبالا رسميا للعبد لله ! استقبال رسمى ؟! ومن أنا لكى يقام له هذا الاستقبال ؟ المهم أفندى تايلاندى عظيم الشـــأن وقف وحيانا تحية رائعة • ولم يكن معى احـــد الا زميل شـــاب هـــو محمـــود عـــوض محـــرر أخبـــار اليـوم الهمـــام ، وهو طويل كعمود التلغـراف لابس قميص كاروهات كرعاة البقــر فى تكساس •• ولعبد لله قصير كأهل تايلاند غلبان كسكان الغابات • وتوجهت فجأة عدسات التصوير وهات يا تصوير فينا ثم قادونا بســـلام وبلا اجراءات الى سـيارة تنام أمام

المطار وكأنها طيارة ولكن بلا جناح ! وقدم الرجل نفسه الينا ·
أحمد يوسف من زعماء الجالية الإسلامية فى تايلاند · وعلى فكرة
تايلاند كان اسمها سيام ، ولا أعرف لماذا أنا أفضل اســتعمال
اسم سيام · المهم عمنا احمد يوسف فوق كونه من زعمـــاء
المسلمين فى سيام ، فهو أيضا كبير تجار الجواهر فى بانجكوك
وصديق شخصى لجلالة ملك تايلاند· ومحل المجوهرات الذى
يملكه تحرسه دائما فرقة كاملة من رجال البوليس المســلحين
بأسلحة أمريكية وكأنهم فرقة مقاتلين فى أحراش فيتنام !

وقال الرجل ـ أحمد يوسف ـ انه علم بنبأ قدومنا السعيد
من مكتب شركة الطيران وباعتبارى أنا محمود وزميـــلى أيضا
محمود فقد قرر تكريمنا باستقبالنا فى المطار · ثم كل دقيقة
السلام عليكم ورحمة الله · وعليكم السلام ياعم أحمد · وكيف
الحال فى مصر ؟ عال والحمد لله · وحال الجبهة فى قناة السويس؟
أشد صلابة من الحديد واشد سخونة من الرصاص ، الســلام
عليكم ورحمة الله · وعليكم الســـلام ورحمة الله ياعم أحمد ·
وكيف حال المسلمين فى الشرق الاوسط ؟ بخير جميعا ويهدونك
السلام ، عليكم السلام ورحمة الله ، وعليكم مثل ماقلتـم ياعم
أحمد ·· وبعد ألف سلام عليكم ورحمة الله ·· وألف وعليكم
السلام ورحمة الله وصلنا الى الفندق · وأثار انتباهى منظـر
مدينة بانجكوك وأنا داخل عليها ·· الخالق الناطق القاهرة منذ
ربع قرن من الزمان ·· الفرق الوحيد أن الحر هنا حر بجلاجل
ومع الحر رطوبة كأن أصابع غليظة قد امتدت الى عنقك تمسك
بخناقك وتكتم أنفاسك ·· ولكن الشوارع مستوية وممتدة ،
والعمارات حديثة وأعلى عمارة مثل عمارة الايموبيليا زمان ، وفى
الشوارع أتوبيسات عمومى وتاكسيات فخمة وتاكسيات أخرى
للناس الغلابه كانت فى الاصل موتوسيكلات ·

ثم فوق الموتوسيكل أقاموا شيئا يشبه الكشك ، وفى الكشك
دكتين ، والزبون آخر رحرحة وآخر ســـلطنة وانسجام ··
وما دام الجو حارا فليس بين الحرانين حساب ·· فكرة حلوة
وبسيطة ومساهمة فى حل أزمة المواصلات ·· والاجرة ضعف
أجـــرة الاتوبيس ·· راحة للركاب ومصدر رزق للكثيرين !

المهم وصلنا الفندق بعد منتصف الليل ، وسلامو عليكو ياحضرات ، ومع السلامة ياعم أحمد ٠٠ وانصرف الرجل الطيب الى لقاء ٠

ولكن الفندق لم يعجب زميل الرحلة ففارقني الى فندق آخر طويل وفخيم ٠ ولكن أنا فضلت النزول فى فندق امبريال ، أولا لانه فندق ظريف مفندق ومرحرح ٠٠ والبساط فيه أحمدى النزلاء خليط من أمريكان وسواح من أوروبا وهنود من بومباى والزبا ين حفاة ٠٠ ماشى من غير هدوم مفيش مانع ٠ بالروب والبيجاما كله تمام ٠ والفندق قريب من السفارة ، وأيضا لانه يشبه فندق شبرد بتاع زمان ولكن على أصغر ٠

ونزلت فى الصباح نافش مثل الديك الرومى فتلقتنى بنت سيامية حلوة مثل القطة السيامية التى عند طوغان ، ونفشت أكثر لان البنت السيامية اختارتنى دون عباد الله ورشقت على قميصى وردة ثم تضاءلت مثل الضفدعة البلدى عندما علمت أنها عادة فى سيام ٠٠ وأن كل البنات طيبات وبنات حلال ٠٠ وأن كل الغرباء لهم واجب التحية والاكرام ٠٠٠

وفى الصباح كنت عند جمال منصور سفيرنا فى تايلاند ، وحكيت له قصة الرجل الطيب أحمد يوسف وسلامو عليكو عليكم السلام ياعم أحمد ٠٠ وقال السفير انه رجل طيب ٠٠ يحب مصر والمصريين ، ويحب الاسلام والمسلمين الاحياء منهم والميتين ٠٠ انك سميع مجيب الدعوات يارب العالمين ٠ وتردد علينا عم أحمد أكثر من مرة ٠٠ وأخذنا معه فى جولة الى احدى الجرائد اليومية ٠٠ وعقد لنا مؤتمرا صحفيا فى نادى الصحافة ولكن ولا صورة مما التقطوها لنا طلعت ٠٠ ولا حرف مما قلناه نشر ٠ والسبب أن صحافة تايلاند كلها واقعة تحت نفوذ وفلوز اسرائيل ٠٠ وهى مسألة ليست راجعة لذكاء أو لعظمة أو لحداقة اسرائيل ٠٠ ولكنها معادلة بسيطة فحيث يتحرك علم أمريكا يتحرك أيضا ـ وبحرية ـ علم اسرائيل ٠

أصبحت أمريكا مثل المره الهابلة ٠ ماشية وساحبة وراها عيل عبيط ٠ وأمريكا الهبلة تتحرك بعساكر ومدافع ، وتدفع دم قلبها ودم كبدها ٠٠ ولكن اسرائيل تتحرك بمعاهدات

وخبراء وتلهف فلوس وتختفى ! ولذلك ٠٠ حيث تجد نفوذ أمريكى ستجد نفوذ اسرائيلى أشد ! ٠٠ من هذه البلاد الواقعة تحت النفوذين تايلاند ٠٠ وياعينى على تايلاند أصبحت مثل الارض الخراب ٠٠ صحيح فيها عمائر ٠٠ وفيها مدائن ٠٠ وفيها مظاهر حياة وأحيانا مظاهر حضارة ٠٠ ولكن العين البصيرة تدرك أن تايلاند قد انتهت ٠٠ وحل محلها شىء آخر ٠ ولاية أمريكية ربما ٠٠ معسكر أمريكى يجوز ٠٠ ولكن بلد ؟ لا ٠ ليس هـذا بلدا يابلد ! وتصـوروا ٠٠ ليس فى بانجكوك كلها مسرح واحـد ، ولكن فيها ألف كباريه ٠٠ وكل كباريه نسيج وحده ٠

ولكن الجرسونات فى الجميع بنات ٠٠ والميكروجيب يظهر كل شىء ولا يخفى أى شىء ٠٠ وعـلى الحيطان رسـوم ٠٠ الشيطان وحده يعلم من الذى رسم هذه اللوحات ٠٠ لوحات داعرة وفاجرة ٠٠ وهى أحيانا بالالوان والفرشاة ، وأحيـانا بالسينما ٠٠ وأحيانا على الطبيعة ٠٠ نسـوان زلط ملط ٠ ورسومهم تنطبع على الحيطان مثـل خيال الظل تمام تمام ٠ وكل الزباين أمريكان ٠٠ أو تايلانديين يعملون عند الامريكان، والشوارع بالليل مكتظة بالنسوان ٠ وألف شحط يتلطمون عند الاركان يعرضون خدماتهم بأقل الاسعار ٠

ولكن أغرب شىء فى تايلاند هو بيوت المتعة ٠٠ وهى بيوت يملكها رجال ذوو نفوذ وبعضهم يعمل بالسياسة ويوجه الامور فى سيام كما يشاء ٠٠ وكل بيت يضم ألف بنت وألف واد ٠٠ شـبان غلابا من الارياف يعمـلون باللقمة ٠٠ ومهمتهم هى الترويح عن العساكر الامريكان العائدين من حرب فيتنام ٠ ويقوم هؤلاء الشبان بتقديم عروض حية وعلى الطبيعة لقاء ثلاثة دولارات للفرد ٠٠ وتستطيع أن تطلب أى شىء فى بيت المتعة وتجده فى الحال ٠٠ من أول الحشيش الى أى شىء يخطر على بال ٠

وهكذا تحولت تايلاند الى كباريه للترويح عن عساكر الحلفاء وبينما بانجكوك ـ العاصـمة ـ غارقة حتى أذنيها فى اللذة والمزة ٠٠ يموت النـاس بالكوليرا على بعد عشرة أميال ٠٠ والتيفود وباء مقيم فى ريف تايلاند ٠٠ وعندما تلدغ حية رجل

فلاح على بعد عشرين ميل من العاصـــمة فانه ميت حتما لانه لا يوجد دواء ولا يوجد علاج ·· وبينما تسبح بانجكوك فى الاضـــواء تدور على بعد عدة مئات من الاميال أغرب وأعجب حرب في التـــاريخ بين جيوش أمريكا وثوار فيتنام · وكان لابد لهذه الثورة أن تجد صدى فى تايلاند ·· ولذلك ستجد الى جانب الهنك والرنك حركة ثورية تحمل السلاح من الآن ولكن صوتها ليس عاليا لان صوت فيتنام أعلى من كل الاصوات والامريكان يعلمون علم اليقين أنه عندما تنتهي حرب فيتنام تبدأ حرب تايلاند وستتحرر آسيا بلدا بعد الآخر وسيموت ملايين الامريكان قبل أن تشرق شمس الحرية على القارة التى ذاقت طويلا كأس المرارة والهوان !

ولكن قبل أن يتحقق ذلك ، ســتظل تايلاند تحت النفوذ الامريكى ·· وسيبقى لاسرائيل نفوذها هناك ·· وهو نفوذ مكنها من نشر بلاغاتها العسكرية فى صحف بانجكوك بينمـا بلاغات العرب لا تنشر على الاطلاق ·· وهى تدعو كل عام وفدا صحفيا من تايلاند لزيارة تل أبيب ·· وهى تدعو أفرادا منهم للتدريب فى اسرائيل عدة شهور ·

ولكن هل معنى ذلك أن باب تايلاند قد أغلق نهائيا فى وجه العرب ولم يعد هناك سبيل على الاطلاق ؟

الواقع لا ··· فهنـــاك أكثر من باب ·· فى تايلاند مثلا ثلاثة ملايين مسلم ·· ولهم فى العاصمة نفوذ ضخم ·· فأغلبهم تجار وأصحاب بنوك ورجال أعمال · ســألنى أحدهم كيف حال الاسلام فى مصر ؟

قلت فى القاهرة ألف مئذنة ومن القاهرة يخرج كل عام الف مقرىء يقرأون القرآن لمسلمى العالم فى رمضان ·

وهز الرجل المسلم رأسه وقال الحمد لله !، وهؤلاء المسلمون فى حاجة الى مشايخ من الازهر وفى حاجة الى أئمة مساجد وفى حاجة الى وعاظ ·· وتستطيع الدول العربيــة أن تتعاون فيما بينها وتوفد عددا من رجال الازهر الى تايلاند خدمة لوجه الله والاسلام ··

ولعل حال المسلمين فى تايلاند خير شاهد على أنه ليس مثل

دين الاسلام ما هو أكثر سماحة بين كل الاديان · فالرجل المسلم فى تايلاند له اسمان · اسمه المسلم وهو للاستعمال الشخصى فى البيت وبين الاصدقاء · ولكن اسمه الرسمى لابد أن يكون اسما بوذيا ·· وهذا هو اسم شهادة الميلاد والبطاقة وجواز السفر وحساب البنك ·· فالصديق أحمد يوسف ليس اسمه هكذا فى شهادة الميلاد ·· ولكن اسمه يانج بانج مانج ·· أو شىء من هذا القبيل ·

ورغم أن عدد المسلمين ثلاثة ملايين وتعداد الشعب كله ثلاثين مليون فليس هناك عطلات رسمية فى أعياد المسلمين وليس من حقهم اذاعة شعائرهم الدينية ·· وفى رمضان يصومون ويفطرون فى صمت ودون أن يشعر بهم انسان · ونستطيع أيضا أن نوجه الدعوة الى بعض الوفود الصحفية من تايلاند لزيارة القاهرة وبغداد ودمشق وعمان ·· ونستطيع أيضا أن نفتح حوارا مع بعض المثقفين هناك ·· لعل وعسى يقتنع بعضهم بوجهة النظر العربية ·· اذ لابد — رغم الليرة الاسرائيلى والدولار الامريكى — يوجد بعض الشرفاء بين هؤلاء الناس ··· ثم نحن نستطيع فى النهاية أن نوجه كلمتنا للشعب التايلاندى نفسه ·· فقد تكون السياسة هناك ضدنا ولكن الشعب ينبغى أن يسمعنا على الدوام ·

ولقد رافقنى خلال الرحلة رجل مسلم آخر اسمه شرف الدين · تايلاندى يتكلم العربية كما يتكلمها رجل من حى القلعة وبالذات من سوق السلاح · وهو عاش طويلا فى القاهرة · وتعلم فى الازهر الشريف · وهو غادر مصر فى عام ١٩٣٨ وسافر الى بلاده مارا بفلسطين والشام والعراق وايران وأفغانستان والهند وبورما ·· ووصل بلاده والحرب العالمية نشبت بالفعل ·· ومنذ انتهت الحرب وهو يقرر فى كل عام السفر الى مصر ليستمتع بأكل الملوخية والبامية الخضرا والحمام المحشى · ولكن فى كل عام يعوقه عن السفر سبب طارىء · ولكن هذا السبب لم يمنعه على أية حال من أن ينوى السفر فى العام الذى بعده · وهو يعتقد أنه سافر فعلا الى القاهرة كل هذه السنوات ، لان الاعمال بالنيات · وهو يشعر بحنين جارف للبلد الذى عاش فيه شبابه وتعلم فى

جامعاته ، وهو لذلك يرى كل شىء فى بلده له شـــبيه فى القاهرة •• فشارع راتا يشبه شارع فؤاد •• وميدان القصر يشبه ساحة عابدين وفندق الكونتنتال يشـــبه قلعة محمد على • وسألنى شرف الدين بلهفة هل اختفت الملاية اللف من شوارع القاهرة ؟

قلت : الا قليلا •••

قال : ياخسارة •• كانت أحلى زى نسائى تقع عليه العين •

وولد بوذى آخر تعرفت عليـــه فى فندق امبريال •• له سوالف وشـعر منكوش وحـــذاء انجليزى تمام وله استديو تصوير ناجح يصور فيه عساكر الامريكان ، وهو لانه فهلوى فهو يرى أن الامريكان هم أغرب شعب على ظهر الارض ، فهم يدخلون بلادا أهلها لا يريدونهم فيهـــا •• وينفقـون عليهم دولارات بالملايين ومع ذلك تقوم الشــــعوب لتضربهم ضربا شديدا • ولكن الامريكان يتشبثون بالبقاء ، والثوار يتشبثون بالحرب فتزداد الدولارات وتتضـاعف المســـاعدات وتتضخم الخسائر دون أن يكون لهذا كله حل •

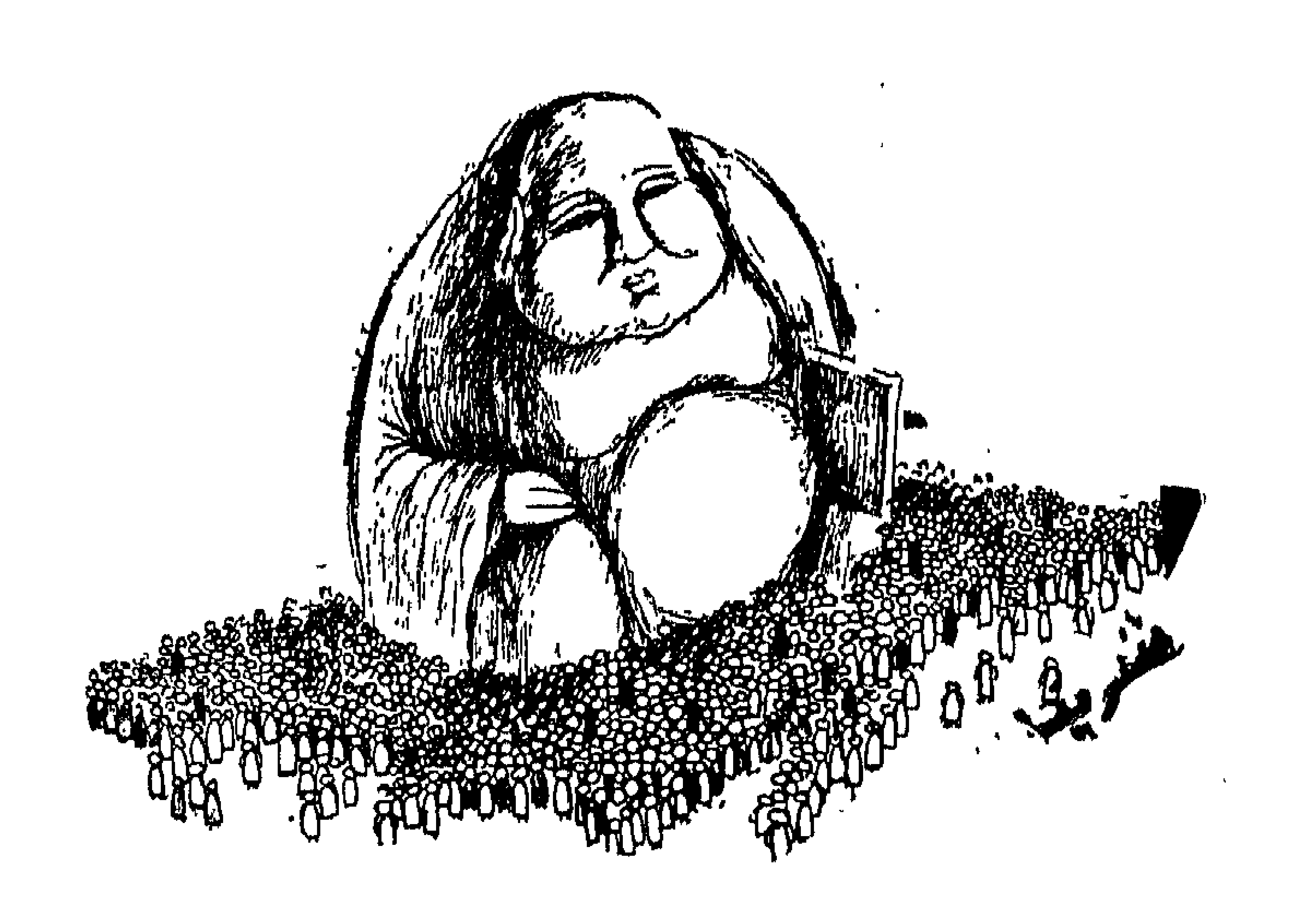
قلت للولد التايلاندى الفهلوى : وما رأيك أنت فى هـــذا الذى يدور الآن فى آسيا ؟

قال : خير ••• كله خير ! آسيا هى مفرمة الامريكانى •• تفرم فلوسه وتفرم لحم بدنه ولو حاربت أمريكا عشرين عاما أخرى فى آسيا •• سيصبح تعداد شعبها مثل تعداد شعب تايلاند •• وستصـــبح الولايات المتحدة أفقر من بورما ومن السنغال ••

ولكن الولد مبسوط على كل حال لان المفرمة تعطيه بعضا مما تفرمه •• وهو قد أصبح الآن واحدا من كبار الاثرياء ، وله عمـــارة فى بانجكوك وله عزبة فى الريف وله قوارب بخارية تجرى فى نهر الميـــكونج نهر الميكونج الذى يجرى منحدرا قادما من فيتنام ، والذى لونه أصبح فى لون الدم من كثرة ماشرب من الدماء وما ابتلع من الجثث •• نهر الميكونج هذا تستخدمه تايلاند للحصول على مزيد من السياح ومزيد من الدولارات •••

◆ البنت عبيطة وسحرها فى عبطها وعبطها جزء من حلاوتها وحلاوتها انها هبلاء تبيع الجوز بمليم وتحمد الكريم المتعال على الصحة والشباب .. وعند آخر نقطة وصل اليها القارب رايتنا السلطة .. ◆

لا أقول وداعا ولكن .. سلام .. !



وكما كانت آسـيا مفتاح السعادة والحبور للقارة المحظوظة الملذوذة أوربا ، ستكون آسـيا أيضـا مقبرة هـؤلاء الرجال البيض الذين قفزوا اليها عبر البحار البعيدة ليسـتولوا على ثروتهـا ويهبروا خيراتها وليتركوها فى النهـاية يامولاى كما خلقتنى ، وربما يامولاى كما قبل أن تخلقنى بزمان !

أغنى وأعتى قارة فى الوجود صارت خرابا يبابا يا ولداه • مزارع المطاط ، غابات الجوز واللـوز ، مناجم الذهب والزمرد والياقوت ، مراعى المـلايين من الرؤوس ، لماذا أهلها يارب عرايا كما طرزان يجد ولداً ؟ ينامون على الرصيف كما شحاتين السيدة ، يموتون بالعشرات وبالمئات وبالالوف ، من الجـوع ومن الكوليرا وأحيانا بـلا سبب يموتون • فى بومباى مثـلا جوهرة آسـيا ومفتاحها ، ينـام الملايين على الرصـيف فى الشـارع • يأكلون ويشربون ويتناسـلون • وبلا احتجـاج يمضغون أيامهم ، كأنما هكذا خلقت الحيـاة ، وهـكذا ينبغى أن تكون • وفى الهند يموت الملايين كل عام بالكوليرا ويموت الملايين بالجـوع • وفى بورما يتساقط المئـات كل يوم صرعى التيفـود • وفى تايلاند بالـكوليرا وبالتيفـود يمـوتون وفى فيتنام يموت الملايين بالجوع ويموت الملايين بالرصاص والنار وقنابل النابالم • اين اذن تذهب الخيرات والثمرات ؟

تذهب كلها الى أمريكا والى أوربا ! كأنما نهـر سـحرى عجيب الشأن والشنشان يجرى من آسيا ، نهر مـن الذهب الخالص وفى فيضان دائم ودلتاه أوربا وأمريكا • وهناك يرمى

بخيراته وبثمراته • ولكن ممنـوع على أهل آسـيا أن يلقوا بأنفسهم فى النهر أو يغترفوا مـن ثمراته • هنـاك قلة فقط مسموح لها بأن تمد أيديها وتغرف ، قلة من آسيا • الارزقية والسـماسرة ورجال السياسة والحكم وخدامين الغرب • قلة لا تأخذ من النهر الجارى الا مقدار كوز واحد • أما النهر كله فيـذهب الى جيـوب أصـحاب الملايين فى أريزونا وتكساس وأصحاب الملايين فى لنـدن ولاهاى وفرانكفورت • يالها من حسبة برما أيهـا الخلق • قارة تنتج وقارة تحصـد ، ولا اله الا الله ••

ولذلك ستبقى آسيا ولسـنوات طويلة قادمة تحمل لقب قارة العجائب ، وستظل آسيا هى الارض الوحيدة التى تموت بالثعبان وتعيش بالثعبـان •• لأن الثعبان فى آسـيا يؤكل ويأكل •• يعض النفر فيموت •• أو يعكمه النفر فيشويه على النـار ويلتهمه ويحمد المولى الكريم على الخير الوفير والرزق العميم ••

وستظل آسيا مرتعا لكل الخرافات ولكل الخيالات وستجد فيها من يعبد الله ومن يعبد الشيطان ، ومن يصلى لحجر ومن يركع لتمثال ، ومـن يحـارب ويسـتشهد من أجـل بقرة • وستجد فيهـا تمثالا لبوذا مـن الزمرد الخالص ارتفاعه قـدر ارتفاع الهرم الأصغر ، ومن حوله مليـون مؤمن بالتمثال فى حاجة الى نكله • وسـتجد فى جاوة رسـولا جديدا أرسـلته السماء اسمه أحمد بودستى صاحب دين جديد يدعوللتوحيد ! ليس توحيـد الله فقط ولـكن توحيـد الانبيـاء أيضـا •
وستجد فى آسـيا زعيما مثل غاندى لا يحتاج من الملابس الا مايستر عورته ، ولا يحتاج مـن الطعـام الا ما يسـد رمقـه ومثـل ابو العـلاء المعرى لا يخشى انتقاصا ولا يرجـو ازديادا وعند وفاته لا يترك الا مغزلا ومعزة • وسـتجد أيضا زعيما مثل أغاخان يعيش فى الريفييرا ويعبده الناس فى بومباى وفى دكا وفى دلهى ، ويتزوج أحلى وأشهى النساء • ويزن نفسـه كل عام بالمجوهرات والاحجار الكريمة ، ويموت تاركا ملايين الجنيهات مبعثرة بين بنوك العالم • وستجد مع هؤلاء زعيمامثل

ماوتسى تونج يؤمن بأن القوة هى الحل الوحيد لمشاكل آسيا ومآسي آسيا ..

ولذلك سيجند جيشا من الشعب كله ليهزم بالبنادق والفئوس كل أسلحة وتكنولوجيا الغرب ، وليضرب فى الصميم مبدأ استعماريا .. آسيوى ضد آسيوى .. وليفرض على أمريكا مبدأ جديدا هو أن تأتى بنفسها لتحارب فى آسيا . وهو المبدأ الذى جربته فى كوريا وأكلت فيها علقة ولا حرامى فى مولد .. ثم جربته فى فيتنام وأكلت علقة ولازنديق فى جامع شركس ..

واذا كان غاندى قد ترك الحب والود والذكر الحسن . واذا كان أغاخان قد ترك ثروة فى البنوك لاتقدر برقم ، فقد ترك ماوتسى تونج أثره فى آسيا .. فهو الزعيم الذى على نمطه يخرج الزعماء الآن فى القارة العظيمة وهو صاحب الطريقة المادية التى تحظى باهتمام واعجاب الملايين من شعب آسيا . وفى آسيا ستجد أمريكا هناك . وستجد أيضا كل أوروبا . حتى بلد الجبنة الحلوم واللبن الرايب هولندا لها مستعمرات فى آسيا .. حتى البلد الخنفسة البرتغال .. ستجدها مستقرة وفى راحة ويادى النعيم اللى انت فيه ياقلبى .. وستجد مشاكل لا حل لها ابتكرها عقل شيطان ابيض . ولكن أغرب وأعجب مشكلة .. هى مشكلة البلوش ... والبلوش شعب كامل متكامل قسمته بريطانيا الى ثلاثة أجزاء .. جزء للباكستان .. وجزء لافغانستان وجزء لايران . .وستجد البلوش الذين يتبعون ايران كلهم مسلمين سنيين وايران كلها شيعة . وستجد الجزء الذى مع باكستان مسلمين شيعة وباكستان مسلمون سنة .

ولذلك وجد الشعب نفسه غريبا هنا وهناك .. ويهاجر بالملايين ليمارس احط وأحقر الأعمال .. وليتقاضى أقل الاجور .. وكما المدرس المصرى الذى يعمل فى الكويت حين يعود يشترى المرسيدس ، أيضا ستجد الرجل البلوشي حين يعود الى بلده يشترى الحمير .. لان الحمير لها سعر فى بلاده أما البنى آدم .. فلا حول ولا قوة الا بالله .. وستجد

مستعمرة مثل هونج كونج لاسيد فيها الا الدولار ولا حاكم لها الا الجنيه ·· وتستطيع أن تشترى فيها كل شيء وأى شيء وعلى رأى عبد الرحمن الخميسى تستطيع أن تشترى الحذاء والنساء والشنب ·

وستجد جزيرة مثل فرموزا لها مقعد دائم فى مجلس الامن · · وقارة مثل الصين مطرودة من الأمم المتحدة ·· وفى سايجون مثلا ستجد فيتنامى رقيع يبيع الاعراض مقابل دولار واحد فى الساعة ·· وعلى بعد كيلو متر واحد من العاصمة ستجد فيتنامى عظيم يستشهد فى سبيل حفنة من تراب الارض ·· وستجد مطاعم مثل مطعم مكسيم فى باريس ، ومطاعم أخرى تبيع الدود المسلوق وستصادف مدخنين يدخنون السيجار وآخرين يدخنون أوراق الشجر ·· ومواطنين بطيلسات وقلبقانات ·· مركوبهم الفيل ومشروبهم لبن الماعز ومأكولهم الديوك الهندى والفراخ الجاوى ·· ومواطنين ملبوسهم رداء آدم ومأكولهم ماتعثر عليه اليد ·

ولقد عشت دهرا طويلا أحلم بآسيا وانهار آسيا التى تفيض أحيانا بالذهب وتفيض أحيانا بالدم ·· بمزارع آسيا التى على مدد الشوف ·· بمعابد آسيا التى جدرانها ذهب وسقوفها فضة ودرجات سلالمها ألماظ ·· بغابات آسيا التى تذخر بالجوز ·· التى المانجه فيها شيطانى ·· والموز فيها يطحنوه للعيش ··· ولقد قدر لى أن أدخل غابة فى اسيا ولكنها غابة ولا كل الغابات ·· ونهر الميكونج العريق الشهير الذى ينحدر من فيتنام عبر أراضى تايلاند يتفرع بعد العاصمة بانجكوك ليصبح عدة قنوات تخترق الغابة ·· وهذه القنوات صالحة للملاحة عدة أميال ثم تعود القوارب من حيث أتت عندما تبدأ أغصان الغابة تتشابك وتتلاحم وتبدأ مملكة الظلام ·· وعلى ضفاف القناة أشجار فى حجم ترماى الخليج ·· ولها شعور مرخية وأوراق مثل اللحاف ·· وأحيانا تتأرجح الكوبرا من بين الفروع ·· وأحيانا يصرخ قرد شقى أو يموت ذئب صايع على بعد أمتار من القارب الدايخ دوخة دلال يبحث عن ولد تايه ياولاد الحلال ··

ولكن لاالقرد ولا الذئب ولا الثعبـــــان يمنع أولاد الغـــابة من القفز فى طين القناة ليسألوا السواح يات لله ! ٠٠ والبات عملة كل عشرة منها تساوى نصف دولار ٠٠ ولن أنسى أبدا منظر امرأة فى التسعين من عمرها تركب خبص وهو اسم القارب فى تايلاند ٠٠ وهى تستعمله كمعدية لنقل الاهالى بين الضفتين ٠٠ المرأة العجوز الدردبيس على رأى عمنا الشيخ طاهر طيب الله ثراه ٠٠ حفرت الســـنون الطويلة على وجهها قنوات وأنهارا وبحارا ٠٠ ولم يبق من شعرها شىء الا ذكريات ٠٠ ولم يبق من نور عينيها شىء الا ما يجعلها ترى الغابة طشاش ٠٠ ولو برزت للعبد لله ذات مغربية لظننتها غولة عجوزة زجرها الغيلان الشباب ٠٠ وعندما شعرت المرأة العجوز بوهج لمبات التصوير غطت وجهها بيدها ربما خجلا أو ربمـا زهدا فى الشـــهرة والانتشار ٠٠ ولكن بنت غاباتية ـ نسبة للغابات ـ تبيع على الشـــاطىء الجوز والاناناس ٠٠ جعلتنى أهم بمغادرة الخبص لاقول لهـــا أنا وراكى كظلك ٠٠ وأنا قتيل المحبة والهـوى والغرام ٠٠ بنت أشهد ليس مثلها فى لندن ولا فى باريس ولا فى كان ! البنت كانت فى مايوه من قطعـة ونص ٠ جلـــدها مشدود مثل طبلة قنزيح فنان الجيزة المشهور ٠٠ عيونها تضرب شرار ٠٠ دمها شربات ٠٠ رموشها سيوف ٠ صدرها حراب ٠ بطنها عجين خمران ٠ ولو سرحت البنت فى شوارع بانجكوك لاصـــبح لها عمارة بأسانسير وبواب ٠٠ ولو جاءت القاهرة لاصـــبحت بطلة فيلم عزيزة المتعة من اخراج المتع حســـن الامام ٠٠ ولكن البنت عبيطة ٠٠ وســـحرها فى عبطهـا ٠٠ وعبطها جزء من حلاوتها ٠٠ وحلاوتها انها هبلاء تبيـع الجوز بمليم وتحمد الكريم المتعال على الصحة والشباب ٠

وعند آخر نقطة وصـل اليها القارب رأينا الســـلطة ٠٠ والحكومة هناك ثلاثة رجـال بطراطير مثـل طرطـور عفريت الليل ٠٠ معهم بنادق لم تنطلق منذ أن صـنعت ٠٠ الرجال الثلاثة جاءوا من العاصمة لحفظ الامن ٠٠٠ ولكنهم هم أنفسهم لايحسون بالامن ٠٠ وهم هنا باسم القانون مع أنهم فى حاجة الى قانون لتســوية حالاتهم ٠٠ ولكنهم رغم ذلك أحيـــانا يستخدمون البنادق باسم القـانون والنظـام ٠٠ ومـع ذلك

فوجودهم هنا مثل عدمهم ٠٠ لان الحكومة ٠٠ لا تسيطر على الغابة ٠٠ ولكن الغابة تسيطر على الحكومة ٠٠ ودائما تهب الرياح من داخل الغابة لتقتلع الحكومات فى آسيا ٠٠ ففى الغابات تنبت وتترعرع وتزحف الثورات ٠ والثوار مظاليم يشقون طريقا لانفسهم فى الحياة بالبندقية بحثا عن العدل ٠٠ وهؤلاء الحراس مظاليم أيضا ومعهم بنادق ٠٠ ولذلك غالبا مايزحفون مع الثوار ٠

وفى غابات تايلاند تدوى طلقات الرصاص أحيانا ٠ ولكنها لاتزال فى البداية ٠٠ ومع ذلك فمع كل طلقة رصاصة تسقط قلوب القادة الامريكان فى حلف جنوب شرق آسيا ٠

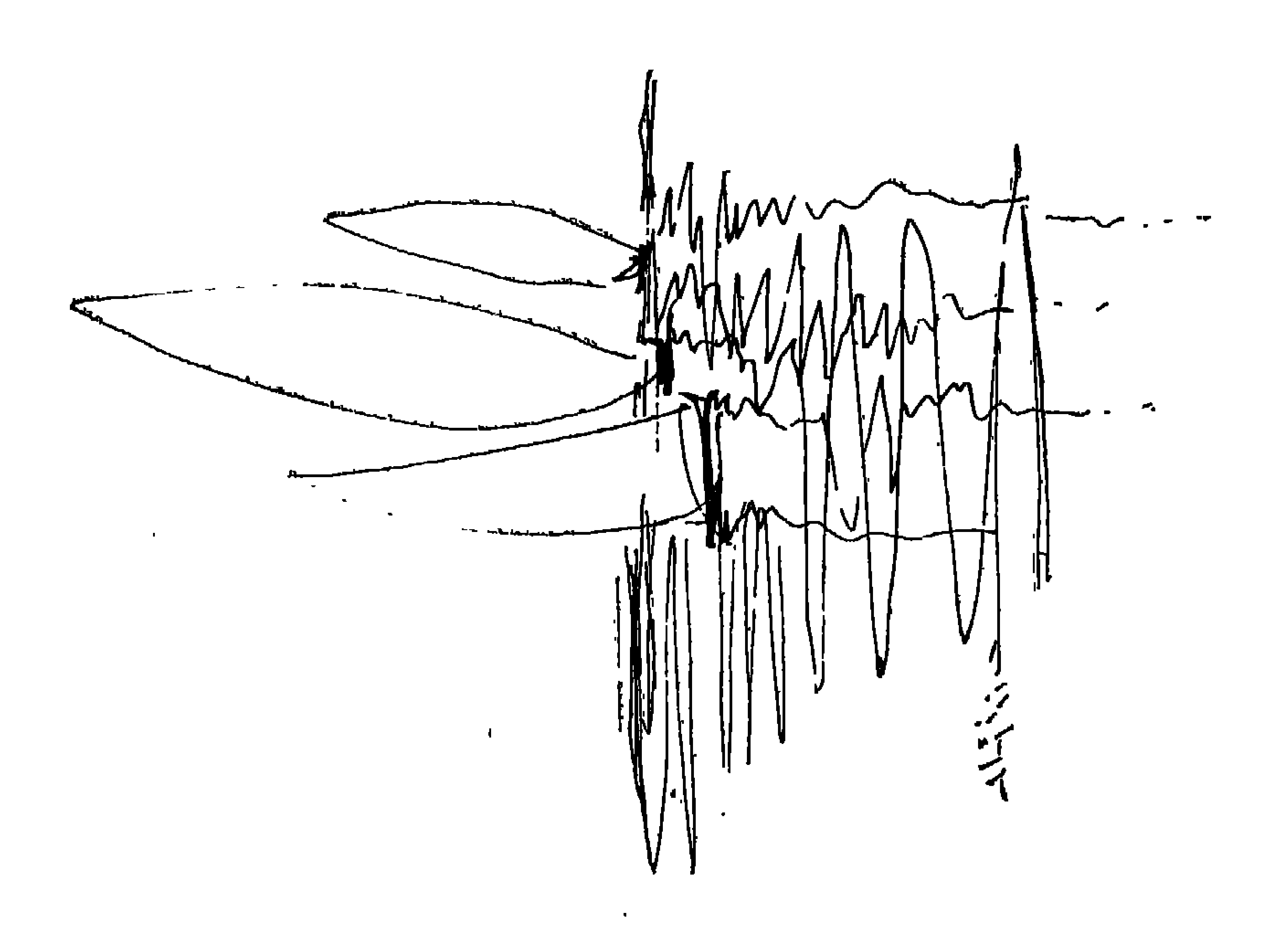
وتعجب معي كيف أن قارة عظيمة الى هذا الحد ٠٠ ليس فيها لغة واحدة حية ٠٠ ولا أدب يؤثر ٠٠ والهندى لا يفهم الهندى ولذلك يتخاطب الاثنان بلغة المستر تشرشل ٠٠ والتايلاندى ساكن العاصمة لا يفهم التايلاندى ساكن الريف ، والهونج كونجى لايفهم الماكاوى ٠٠ والسنجابورى لايفهم الاندونيسى ٠٠ ومن عجائب الحياة ان فى العالم خمس دول عظمى ٠٠ ثلاث من أوروبا ورابعتهم أمريكا وخامستهم جزيرة فرموزا ٠٠ ولكن الصين ليست عظمى ! والهند دولة عظمى فعلا ٠٠ واندونيسيا لها مقومات الدولة العظمى ٠٠ واليابان عظمى بدون أى شك ، وباكستان تستطيع أن تصبح دولة عظمى ٠٠ ولو فى العالم عدل قدر مافيه من جوع ٠٠ لاصبح لاسيا خمسة مقاعد دايمة فى الامم المتحدة ٠٠ ولكن آسيا العظيمة تظل صايعة وأوروبا الصايعة تحتل مركز العظمة ٠٠ ولو عدلت الحياة أكثر لاضبحت فيتنام دولة عظمى ولاخذت هولندا على قفاها ٠٠ ومع ذلك فهذه الاوضاع التى هى أمنيات الان ستصبح حقائق بعد عشر سنوات ٠٠ وإذا كانت الدنيا تدور ٠٠ فهى تدور الان فعلا لتقف على مؤشر آسيا ٠٠ آسيا التى قطعتها فى ١٨ ساعة طيران و ١٨ يوم لف ودوران و ٨٠ قرشا فى اليوم وخرجت منها بأربعة أصدقاء ٠٠ بنت يابانية تعيش فى طوكيو وتعمل فى شركة طيران ٠٠ ونحيلة مثل عصا الخيرزان ٠٠ ونهمة لا تشبع ورجل صايع فى هونج كونج ٠٠ يهرب من

ضباب الحياة الى ضباب الافيون ويطل من قمة الجبل على الميناء بجسد نصف عاري ونصف مكسي،وعين نصف مفتوحة نصف مغلقة ٠٠ وعقل نصف تايه نصف عاقل ٠٠ ويحلم بيوم لن يكون له وجود أبدا ٠٠ ورجلان من تايلاند ٠٠ أحدهما كان فى القاهرة لمدة طويلة ٠٠٠ ولايزال يعيش رغم البعد فى حوارى الحسينية ويشم فى خياشيمه رائحة الطعمية ٠٠ وعلى طرف لسانه طعم شاى الفيشاوى ٠٠ والملوخية بالتقلية ٠

رجل رحل من مصر قبل الحرب ليقطع اسيا كلها مارا بغزة ويافا والقدس وبيروت والعراق وايران وافغانستان والهند وبورما وتايلاند ، الشيخ شرف الدين واسمه الرسمى طالا مالا سالا ٠٠ لأنه هكذا كتب على المسلمين فى تايلاند أن يخفوا اسماءهم وأن يعبدوا الله فى صمت ٠

ورجل آخر سأحتفظ باسمه ٠٠ لانه يعيش فى العاصمة وقلبه فى الغابة ٠٠ وهو يربح النقود ليجمع البنادق ٠٠ ويوما ما سينحدر عبر النهر وضد التيار ، ليحاول اعادة صياغة الحياة عن طريق البندقية ٠٠ واذا كانت مشاكل اسيا مستعصية فالبندقية هى الحل الوحيد والأكيد ٠٠ ويوما ما سأعود الى اسيا ٠٠ ولكنها عندئذ ستكون أرض السعادة والورد والحب ٠ وسيحل الفن محل الكوليرا ٠٠ والنقود محل التيفود ٠٠ ولن يكون الثعبان آكل ومأكول فى اسيا ٠٠ سيكون مكانه المتاحف والمعامل وحدائق الحيوان ٠٠ ولكن حتى يتحقق ذلك أرجو من المولى الكريم أن يحيينا واياكم الى ذلك العام ٠٠ ويا آسيا الثمينة الحزينة ٠٠ لا أقول وداعا ، ولكن سلام ٠٠ واذا كان فى الشرق البعيد جراح فلدينا فى الشرق القريب جراح ٠٠ ويوما سنلتقى ولكن بلا جراح ٠





كتب للمؤلف

١	ـ السماء السوداء	قصص قصيرة
٢	ـ جنة رضوان	» »
٣	ـ بنت مدارس	» »
٤	ـ الأفريكي	» »
٥	ـ عزبة بنايوتي	مسرحية
٦	ـ الأورنس	»
٧	ـ النصابين	»
٨	ـ فيضان النبع	»
٩	ـ حتى يعود القمر	رواية
١٠	ـ الأرزقية	»
١١	ـ الظرفاء	دراسة أدبية
١٢	ـ ألحان السماء	» »
١٣	ـ الجزائر أرض اللهب	دراسة سياسية
١٤	ـ الولد الشقي	الجزء الأول
١٥	ـ الموكوس في بلاد الفلوس	رحلة لبريطانيا
١٦	ـ السعلوكي في بلاد الافريكي	رحلة لأفريقيا
١٧	ـ الولد الشقي	الجزء الثاني



الثمن ١٠ قروش

مؤسسة روز اليوسف